المعذّب

المعذّب

رواية

محمد جمال فرانك

طبعة 2020م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر،وعلامتها التجارية (شخابيط)

24 شارع غزة _ المهندسين _ الجيزة

تليفون : 01145004994 2+ _ 0233031633 2+

info@sha5abet.com

إن شركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر ،وعلامتها التجارية (شخابيط)

غير مسئولة عن آراء المؤلف و أفكاره و إنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه

الغلاف: أحمد شاكر

مراجعة وتدقيق لغوى : محمد عادل

اخراج فنى : عمرو محمد

المدير العام : د.سامح شاكر

رقم الايداع: 2019/20829

I.S.B.N 978-977-6760-24-0

المعذّب

رواية لـ

محمد جمال فرانك

" أهدي هذا العمل لكل شخص رافقتني

كلماته حتي الآن "

" أهدي العمل لمن دعموني وآمنوا بي

في بدايتي ... شخابيط"

المقدمة

يلتهمني الظلام بينما أصعد السلم الحجري ببطء .... أقترب من ذلك العرش العظيم شيئا فشيئا ، أتسائل عما قادني إلي ما يحدث الآن ...حياتي؟

كانت مجرد إختيارات و ما أعانيه الآن هو نتيجة تلك الإختيارات

هل اندم علي شيء ؟

لا فأنا مؤمن ان كل خيار إتخذته علي تحمل تبعاته ربما أشعر بالحزن و الغضب ... ربما يحيطني الموت من كل إتجاه و أنا غارق في دماء من أحبهم ... و لكني لست نادما لإن ما أفعله الآن ... أفعله لأجلهم ..

أُقف أمام العرش الصخري أتأمله و الدموع تحاول الهرب من مقلتي ... أتأمل تلك النقوش المحفورة منذ زمن غابر لتحكي عن مجد مفقود في غياهب القرون ... أجلس عليه و أنا أمسح دموعي التي إستطاعت الهرب أنظر له و هو يقف بجواري و إبتسامته الخبيثة لم تغادر وجهه ليقول ..

" الآن للقلعة سيد من جديد "

أشاهد تلك الوحوش البشعة تقترب و الكوابيس تقفز حولي علي الجدران و الخوف يقف أمامي و الفزع يقودهم إلي و الموتي سائرون و أنا هدفهم الوحيد ... فقط ليقفوا أمام عرشي جميعا و يركعون ... ليحيوا سيدهم الجديد ...

ربما قد يغادرني الحزن بأيد الزمن و لكن الذكريات لن تفارقني ... فهي تمر داخلي كنهر يأبي إلا أن يثور ليطلق الصور في عقلي للتتسابق أمام عيني ... و تعيد سرد القصة من البداية ...
قصتي ...

الفصل الأول

بدأ كل شيء ذلك اليوم ... كنت أقف كعادتي في غرفة التدريب علي الرماية داخل وحدة التدخل السريع أقوم بإطلاق طلقاتي بإتجاه الهدف أمامي لتخترقه كما يخترق عقلي شعور بالذنب ... ما حدث كان لا يزال يؤرقني و نظرات الضحايا تدك مضجعي كل ليلة لذا ألجأ لهذا المكان دائما عسي أن أنتزع صرخاتهم من رأسي ... و حينما أقوم بممارسة تدريبي علي الرماية أفقد كل ما يصلني بالعالم الخارجي و كأن حواسي تنطفيء حتي لا أري شيئا أمامي سوا ذلك الهدف الذي علي إصابته ...

إنتفض جسدي حينما شعرت بتلك اليد تمسك كتفي لإلتفت بسرعة موجها مسدسي الي ذلك الشخص خلفي فأجده كريم كان ينظر إلي بإبتسامته البلهاء التي إختفت حينما رأي فوهة مسدسي بإتجاه رأسه ليتحدث بسرعة

" تمهل تمهل ... لم أقصد أخيفك ! .. أنا صديق عمرك كريم ... هل تذكرني؟"

لأزفر ما في صدري بحنق و أنزع السماعات من فوق أذني و أجيبه

" هل قال لك أحد من قبل أنك غبي ؟ .. جداً ؟ "

لتعود الإبتسامة البلهاء لوجهه مجددا إبتسامة إعتدت علي رؤيتها منذ سنتنا الأولي في الكلية و رغم أني أخبرته مرارا أن يحاول تغييرها فهي تفسد وجهه الوسيم إلا أن نصائحي دائما كانت بلا فائده ليحاقظ علي إبتسامته تلك قبل أن يجيبني

" نعم ... أنت قلت لي ذلك مرات كثيرة و لكن جدا أظنها جديدة نوعا ما "
"قلت لك مئات المرات أيضا ألا تفاجئني و أنا في تدريب إطلاق النار ... قد أقتلك بغير قصد ! "
" أنت من تعطي الموضوع أكبر من حجمه بالإضافة إلي أنى أثق بك .... لن تطلق علي النار أبدا "
" هل تريد أن تجربني ؟ "
" دعني أفكر قليلا "
صمت لثوان قبل أن يجيبني
" لا "
و لكنه لم يدرك أن في تلك الثوان التي مرت في صمته كان إنتباهي قد أسره ملاك دلف إلي غرفة التدريب لينظر إلي لثانية فقط و يبتسم قبل أن يتجاوزنا و لم تغادر نظرتي البلهاء له وجهي و أنا أتبعه بنظراتي قبل أن يخرجني من حالة تأملي صوت كريم
" سامي ! ... سامي !! .. القيادة تنادي سامي هل تسمعني ؟ "
خرجت من حالتي و عادت نظراتي لكريم و هو يسألني
" ما الأمر ... ما الذي خطف عقلك ؟ "
لينظر في الإتجاه الذي كنت أنظر إليه قبل أن تعود نظراته لي مجددا
" سارا إذا ... هذا صحيح ألا تخبرها ؟ "
فينتابني ذلك الشعور الغريب و يخترق معدتي ...شعور لا يمكنني تمييزه عن الخوف أو ربما هو الخوف و أنا فقط أخدع نفسي ... إستطعت الشعور بحبات العرق علي جبيني قبل أن أسأله

" أخبرها بماذا ؟ "

فيبتسم إبتسامة خبيثة

" أنك معجب بها ؟ ... أم أنك نسيت ما تفعله أثناء نومك و أنت تذكر إسمها و كأنك تغني في إحدي فرق الروك داخل أحلامك ... سارا ... سارا ... سارا " ليرفع صوته وهو ينادي إسمها فأضع يدي علي فمه بسرعه و أكتم صوته و تهرب عيناي إليها متمنيا ألا تكون قد سمعته لأحمد الله أنها قد وضعت السماعات علي أذنيها و بدأت بإطلاق النار ...

أنظر إليه مجددا و أحرص علي أن تظهر نبرة الغضب في صوتي

" إن فعلتها مجددا ... فسأقتلك ... و إن أخبرت أحدا بذلك ... فسأجعلك تعاني قبل أن أقتلك "

ليمسك بيدي قبل أن يهمس بينما يحافظ علي إبتسامته الخبيثة

" لا تقلق ... سرك في بئر و سأموت قبل أن أخبره لمخلوق ... و لكني أنصحك أن تتحرك قبل أن يأخذها أحد منك "

فجأة شعرت بالخوف يتملكني ليختفي الغضب من صوتي و يتحول لحيرة

" ماذا ... ماذا تقصد ؟ "

ليضع يده علي كتفي و يقول

" سارا جميلة ... بل رائعة الجمال ...لذا أظن أنك لست الوحيد الذي تسعي إليها "

و قد كان علي حق ... فسارا كانت تمتلك جمالا ملائكيا ....عيناها خضراوتان كالزمرد بينما تتوج بشعر أحمر ناري مع نمش يغزو خديها ... في الحقيقة كانت تمثل الجمال الأسكتلندي في أفضل صوره ...

أستطيع تذكر المرة الأولي التي وقعت عليها عيناي فيها ... كنا في حفلة التخرج و حينها تعجبت كيف لم أرها من قبل و بعد ذلك علمت أنها طلبت الإنضمام لفرقة التدخل السريع مثلي و كريم ...

لم أفهم السبب الذي يدفع فتاة في مثل جمالها إلي الإنضمام لعمل محفوف بالمخاطر الدائمة كهذا و لكني علمت أن الأمر متعلق بوالدها فقد كان من أفضل أعضاء الفرقة قبل وفاته حينما حاول إنقاذ بعض الرهائن من يد إرهابي مجنون ليقرر الإرهابي تفجير نفسه ويلتهم الإنفجار الرهائن و والد سارا معا ...

لذا تفهمت ما تريده ... هي فقط تريد إستكمال مسيرة والدها كبطل من وجهة نظرها أو هذا ما أظنه فمنذ تخرجنا حتي الآن لم نتحدث لمرة واحده و أظن أن هذا يرجع لجبني فلا يهم عدد المرات التي حاولت إستجماع شجاعتي فيها للحديث معها ... فقط أتراجع دائما في اللحظة الاخيرة ...

و ها نحن هنا أمسك بكريم من كتفيه و أسأله بينما أشعر بالخوف يتحرك في جوفي ليسيطر علي كامل جسدي و يختفي الغضب من صوتي ليتحول لحيرة

" ماذا ... ماذا تقصد ؟ ... هل سمعت شيئا ؟ "

" لا لا شيء ... إطمئن ... و لكن فتاة بجمالها لن يطول الأمر حتي تلفت نظر أحد أو ربما لفتت نظر أحد غيرك بالفعل و لن يمضي الكثير من الوقت حتي يقرر أنه سيكون أشجع منك و يحدثها و هنا سوف تندم "

كان معه حق يجب أن أتخذ موقفا و لكن كيف و أنا اتحول لآلة بخارية صامته بمجرد أن أقترب منها حيث لا أشعر بشيء غير العرق و يتحول

وجهي للون الأحمر و تسيطر الحرارة علي جسدي... قطع صوت تفكيري كريم حينما أكمل

" بالإضافة ... نريد أن نفرح بك ... أنت شارفت علي الثلاثين ولم تتزوج بعد"

" في أحلامك ... بمناسبة كيف حال ياسمين ؟ "

" بخير ... كانت تريد أن تدعوك للعشاء اليوم و لكني أخبرتها أنك مشغول ... لم أرد أن أعذبك بطعامها "

" لقد أنقذتني "

" مع ذلك الأولاد كانوا سيسعدون برؤيتك "

" أعلم ذلك ... أنظر إنه جيري قادم في إتجاهنا يبدو أن هناك شيئا ما "

جيري كان نائب قائد الفرقة ... رجل في بداية الأربعينات ضيق الأفق من النوع العاشق للأوامر لا يتكلم كثيرا و دائما كلماته مقتضبة لم أفهم لماذا و لكني أظن أنها فقط طبيعته ...

كان يحافظ علي شارب كثيف فوق فمه و يمتلك جسدا عريضا ضخما كنا نعتقد أنه يعاني للمحافظة عليه خصوصا انه كثير الأكل و لكنه كان يحافظ علي ذلك التأثير المخيف علينا و علي باقي الفرقة فلا يمكن لأحد منا أن يحدثه بدون إظهار الإحترام علي الاقل ...

دلف إلي غرفة التدريب بنظرات ثاقبة و ثابتة .... نظر إلي و إلي كريم و شعرت بقشعريرة إنتباتني لثوان قبل أن يلتفت لسارا و التي قد إنتبهت لوجوده ... نزعت السماعات من فوق أذنيها و نظرت له وهو يقول

" لدينا مهمة عاجلة ... الجميع الي غرفة الإجتماع ... الآن ! "

قبل أن يغادر الغرفة بصمت لأنظر لكريم قبل أن نتحرك مسرعين

الفصل الثاني

تجمعت الفرقة كلها في غرفة الإجتماعات كانت غرفة خاصة ليتحدث لنا القائد فيها عن مهماتنا حيث يقف علي منصة مرتفعة قليلا خلف ميكروفون و خلفه شاشة عرض ضخمه تعمل باللمس ..

بينما نجلس نحن و كل أعضاء الفرقة فوق مقاعد متراصة أمامه تشبه لحد كبير مقاعد فصول الجامعة و كنت أنا و كريم نجلس بجوار بعضنا البعض بينما سارا كنت خلفنا بصفين و كنت حريصا علي عدم النظر للخلف حين يتحدث القائد حيث كلمات كريم لا تزال تتردد في أذني ..

ركزت نظراتي علي اللواء رامي قائد الفرقة و أكبرنا عمرا فقد كان يتجاوز جيري بسنتين أو ثلاث سنين فقط ... حليق الشعر رغم ذلك رأسه قد غزاها اللون الأبيض يمتلك مظهرا قاسيا و مع ذلك أيضا فهو عطوف جدا و لا يحب شيئا أكثر من عائلته ثم أفراد فرقته ... و يمكنني القول أنه يستطيع أن يضحي بحياته فداءا لأي شخص في هذه الغرفة ...

من في سنه الآن يعشقون حياة المكاتب المستقرة و النظر الي السكرتيرات الحسناوات و لكن اللواء لا ينوي مغادرة الفرقة قط ... إنه حتي ذلك الوقت كان يقود عملياتنا بنفسه معنا في الميدان ...

كان يتحدث بصوت ثابت واثق وهو يشير بعصاه للشاشة خلفه

" وصلنا أن هناك عملية إحتجاز رهائن حدثت في أحد المجمعات السكنية الضخمة في القطاع ب- 23 من القاهرة الجديدة ... عدد الرهائن يقدر بأكثر من 100 رهينة ... و الخاطفون مجهولون "

قطع حديثه يد أحد ما إرتفعت ليتحدث ليسمح له اللواء و اتعرف عليه من خلال صوته كان "تيد" أو كما نسميه مهووس الفرقة هو صاحب السؤال

" هل أعلنوا عن مطالب ؟ ... أو حاولت الشرطة التفاوض معهم ؟ "

ليجيب اللواء

" في الواقع لم يعلنوا أن شيء و لم يتواصلوا بأي شكل مع الشرطة ... علي حسب ما وصلني فكل شيء بدأ في صباح اليوم حينما دخل مركز الشرطة رجل أسيوي قال أن إسمه "سون تسو" و أن عائلته و جيرانه رهائن في مجمعه السكني ... لم يخبر الشرطة بأي وصف للخاطفين فقط قال أن حياتهم في خطر و أن الخاطفين قد بدأوا في قتل الرهائن بالفعل حين إستطاع الهرب "

قطع "تيد" حديث اللواء بسؤال أخر مما أثار حنقه

" و لكن ألا يبدو هذا غريبا ؟ ... هل تأكدت الشرطة مما حدث ؟ "

فيجيبه اللواء و قد لاحظنا جميعا نبرته الغاضبة فكم يكره أن يقاطعه أحد

" لقد لاحظت الشرطة غرابة الموضوع بالفعل لذا أرسلوا ثلاث سيارات شرطة للمكان و قالوا أنهم لم يلاحظوا شيئا غريبا لذا حاول أربعة أفراد شرطة دخول المجمع و دخلوه بالفعل و لكن ... لم يعد أحد منهم ...

حاولت الشرطة الحديث للخاطفين بمكبرات الصوت و لكن لا مجيب ... حاولت بشتي الطرق التواصل مع أفراد الشرطة بالداخل و لكن بدون فائده...

لذا قرروا إستخدام سلاح الفرسان ... نحن "
رفعت يدي لأسأل اللواء : فأذن لي لأتحدث بصوت يسمعه الجميع
" و لكن إذا كانوا خاطفين و قرروا أخذ سكان المجمع كرهائن ... ألا يبدوا غريبا إنهم لم يحاولوا التواصل بأي شكل ... لا مطالب ولا حتي إستعراض قوة مثل قتل أحد الرهائن و إظهار ذلك للعالم عبر الإنترنت ؟ "
فيجيبني اللواء
" شيء غريب بالفعل ... و لكن ما علمته أن سون تسو ذلك قال أنهم سمحوا له بالهروب ليعود مجددا و يكون الوسيط بينهم و بين الشرطة ... لذا قرروا أنه كحل أخير سيسمحون له بالعودة للداخل مع جهاز تواصل لا سلكي و إذا فشل هذا الحل سنتدخل "
صمت لثوان قبل أن يكمل
" لذا إستعدوا ... سنتحرك للمكان بعد ربع ساعة ... أريد تركيزا كاملا في هذه المهمة "
ليبتسم و يقول
" فهي مهمتي الأخيرة "
لم نفهم مقصده أو ربما فهمنا و لكنا لم نصدق في البداية لذا وقفنا جميعا ننظر إليه في حيرة ليعلوا صوتي وسط الجميع
" ماذا تقصد ؟ "
فيجيبني وهو يحافظ علي إبتسامته
" سأتقاعد أخيرا ... لقد أصبحت جدا .. و حان الوقت لكى أتفرغ لعائلتي "

لم نعرف هل نفرح لأجله أم نحزن لأنه سيتركنا ... فاللواء قبل أن يكون قائدنا كان أبا لنا ... لقد أنقذ معظمنا إن لم يكن كلنا من موت محقق لذا ندين له بحياتنا ... و لهذا وقفنا في إنتباه إليه صامتين و نبتسم و نحييه التحية العسكرية ... تحية تليق بقائدنا ..

لم يمض الكثير من الوقت لنتجهز لمهمتنا ... إرتدينا الدروع و الخوذ و حملنا أسلحتنا في خلال خمسة عشر دقيقة فقط كنا نقف صفين من عشرين جنديا مستعدين لأداء مهتمنا ... خرجنا من مقر الفرقة الي السيارات المدرعة ... كانت الخطة أننا سنقسم أنفسنا ... عشرة مع نائب القائد جيري سيركبون المروحية ليقتحموا المجمع من السطح و عشرة أنا و كريم و سارا منهم سنركب السيارة المدرعة التي ستنقلنا للقطاع ب -23 و لكن قبل أن نصعد أوقفني كريم ...

سحبني من يدي لمكان بعيد عن أذان الجميع لأسأله في حيرة

" ما الأمر ؟ "

فيجيبني و قد إستطعت رؤية الخوف في عينيه

" أريد أن أتأكد أنك ستحافظ علي تركيزك "

" ماذا تعني ؟ "

"فقط أريد أن أطمئن علي أن ما حدث لن يؤثر عليك في هذه المهمة "

لأجيبه بغضب

" و كيف سأنسي ما حدث و أنت تذكرني به ؟ "

" لم أقص .."

قاطعته

" لا لم أنسي و لن أنسي إن كان هذا هو سؤالك ... لن أنسي أبدا نظراتهم إلي وهم غرقي في دمائهم بل صرخاتهم لم تغادر رأسي قط ... لا زلت أراهم في كل زاوية في غرفتي .. ينظرون إلي و يصرخون ... يلقون اللوم علي ... علي قاتلهم "

صرخ في

" توقف ! ... جميعنا يعلم ألا يد لك في ذلك ... أي فرد فينا كان يمكن أن يكون مكانك و سيتخذ نفس القرار "

فأجيبه و قد إخترق صوتي الحزن

" نعم ... و لكن أنا من أخذته "

لأتركه يقف وحيدا يتأملني وأنا أوليه ظهري و أغادر متجها للسيارة المدرعة ... لقد كان علي حق ... نعم كان علي حق ... فأي شخص لو كان مكاني لم يكن ليعلم أن الخاطف قد ألبس الرهائن زي الخاطفين و سلحهم بأسلحة مزيفة ...

و أي شخص أخر لو كان أنا كان سيتخذ نفس القرار ليحمي أصدقائه و يطلق النار عليهم ... و لكن ... و لكنني من أتخذته ...لا أحد أخر ... لا أحد غيري و أنا فقط من سيتحمل الذنب الذي لن أستطيع أبدا التكفير عنه.. أنا فقط من سأراهم و سأحتمل عذابهم الأبدي لأحمله معي إلي قبري ... حيث سينتهي عذابي إلي الأبد ..

صعدت الي السيارة ليتبعني كريم وهو يرمقني بنظراته الحائرة و يجلس في المكان المقابل لي فأبتسم و أطمئنه

" لا تقلق ... فقط إحمي ظهري "

ليبتسم قبل أن تبدأ السيارة في التحرك ...

الفصل الثالث

لم يمض الكثير من الوقت لنتجاوز شوارع القاهرة الجديدة ... القاهرة التي تحولت لعاصمة الوطن بعد دمار القاهرة القديمة في حرب 2053 حيث دمرتها قنبلة هيدروجينية ... و هذا و علي حسب ما يقولونه لنا في التاريخ كان يوم إستسلامنا و تحول مصر إلي ولاية تابعة لإتحاد القارة الأفريقية الأوروبي ...

أنا لا أعلم شكل القاهرة القديمة ولا كيف بدت لقد ولدت بعد الحرب بخمسين عاما لذا كل ما أعلمه كان من القصص التي تقصها علي جدتي و تحكي فيها عن زمن أخر ... زمن إنتهي بضوء ساطع من السماء ليأخذ حياة الملايين ... ملايين لا يدرون شيئا عن الحرب و لا أطرافها فقط يعيشون حياتهم بأيامها و يحاولون فقط التشبث بالحياة ...

لتؤخذ منهم علي حين غرة و يحصدهم الإنفجار ... حياتهم لم تكن ذات قيمة لمن أخذ الأمر و لكني حينما أراهم في الشوارع يهيمون كيراعات تسعي لقبس من ضوء ... أدرك ان حياتهم كانت أكثر مما أظن ... و هذا كان سبب معاناتي الدائمه ... أنني مميز ..كما كانت تقول لي جدتي ..

فمنذ بلوغي سن السادسة و أنا أراهم ... لا أعلم هل هي هبة أو لعنة و لكن كل ما أعرفه من يوم إكتشافي لها هو المعاناة ... حاولت جدتي مرارا أن تجعلني أفهم كيف كنت مميزا ليرزقني الله ويباركني بهبة كهذه و لكن مهما قالت لي فكلماتها كانت تذهب أدراج الرياح بمجرد أن أري فتاة محترقة أو رجل يبحث عن رأسه يسير وسط الشارع ...

لا هذا إبتلاء ... وليس هبة ... هذه لعنة ... و ليست مباركة...
بعد إنتهاء الحرب بين الإتحاد الأوروبي و تحالف أمريكا الشمالية تحولت قارة أفريقيا إلي ولايات تابعة لأوروبا و منذ ذلك الوقت و حتي لا يثور العامة عليهم بعد معاناتهم خلال الحرب و حتي لا يكرروا خطأ المستعمرات قبل الحرب العالمية الأولي قرروا إعادة بناء القارة ... و من هنا أقاموا لنا القاهرة الجديدة ...
و لكن أمثال جدتي لم يألفوها قط ... بل شعروا أنهم مجرد غرباء ... لم يعتادوا علي وجود كل تلك الجنسيات و الأنواع المختلفة و الأعراق من الناس .. بل لم يستطيعوا العيش فيها قط ... لذا غادروها و لكن مع ذلك بقي من هم مثل أبي و أمي حيث قرروا قبول الواقع و التخلي عن الماضي بمآسيه و قصصه و عاشوا هنا ...
وها نحن قد وصلنا ... وقفت المدرعة لنتحرك من مقاعدنا و ننزل أمام المجمع ... كانت سيارات الشرطة في كل مكان و عشرات من المراسلين و الصحفيين و المصورين قد إنتشروا كالذباب
" يا إلهي لقد خرج الأمر عن السيطرة "
قالها اللواء رامي بينما يتجه لقائد الشرطة في المكان و الذي كان يقف مع رجل أسيوي علي بعد امتار منا فقط ..
نظرت الي المجمع لألحظ مدي ضخامته ... و أري طائرة الهليكوبتر التابعة لنا تحوم حوله ... كان المبني يرتفع لعشرين طابقا مع بوابة معدنية كانت المدخل الوحيد للمبني ...

" جميلة أليس كذلك ؟ ... مصممة لتصمد أمام قنبلة نووية مع بوابة الفولاذ المقوي بزجاج شفاف مضاد للرصاص و الإنفجارات ... أيا كان من يسكن هنا ... فهم أناس يتحكمون في مصائر البشر "

كان ذلك صوت تيد الذي قطع تأملي لأنظر له ليبتسم و يكمل

" قرأت عنها في كتاب عن تطور تكنولوجيا بناء مع بعد الحرب "

لأسأله بسخرية

" هل يوجد شيء ... لم تقرأ عنه ؟ "

ليجيبني

" لو علمت أن هناك شيئا كهذا ستكون أول من أخبره "

" أنظر إنهم يضعون علي جسده جهاز الإتصال الآن "

قالها كريم مشيرا إلي الرجل الأسيوي وهم يرفعون قميصه المخطط المليء بالعرق ليضعوا جهازا لاصقا صغيرا علي صدره كان هذا الجهاز قادراً علي نقل كافة الأصوات في محيط دائرة قطرها متر ونصف بكفاءة عالية ...

شعرت أن هناك شيئا مفقوداً ... نظرت حولي بحثا عنها لتجدها عيناي تقف بجوار المدرعة ممسكة بسلاحها و قد بدا عليها التوتر تأملتها قليلا و لم أدري كم طالت نظراتي ... فقط أفقت علي نظرات عيونها علي و إبتسامتها التي إخترقت كياني لتهشم ما بداخلي لأتوتر بدوري حين تتلاقي عيناننا و ألتفت بسرعة إلي الرجل الأسيوي مجددا ...

كان علي وشك الدخول ... ينظر حوله في قلق و خوف يأخذ نفسا عميقا و يزفره بعدها بثوان و كأنه يستمتع بكل نفس من الهواء قبل الموت ...

نظر الي قائد الشرطة بجواره ثم لقائد فرقتنا قبل أن يشير برأسه و يسير بإتجاه بوابة المبني بخطوات متثاقلة ...شعرت به يود لو يلتفت للإتجاه المعاكس و يهرب بعيدا و لكن المهمة الملقاة علي عاتقه و العودة لفم الموت مجددا بعد الهروب كفيلة أن تجعله يصاب بالجنون ...

كانت أعيننا تراقبه متأهبين بأيدينا علي أسلحتنا تحسبا لأي حركة غير متوقعة ...

وقف أمام البوابة المعدنية قبل أن ينظر خلفه بإتجاهنا لثوان و كأنه يتخيل مصيره حينما يتجاوز البوابة ...شعرت بعينيه تزوغ و كأن صور موته تتهجم علي عقله الآن و يطلب منا المساعدة ... توقعت أن يعود خائفا و لكنه حطم توقعي حين أعاد عينيه للبوابة ليمسك بمقبضها بكلتا يديه و يدفعها ليدخل و يغرق في الظلام خلفها ...

كان جهاز الإتصال معه يرسل الصوت لجميع أجهزة إتصالاتنا لذا جميعنا كنا نسمعه ... صوت خطواته تزامن مع أنفاسه الهاربة و إستمر لثوان قبل أن يصرخ

" يا الله ! ... "

و ينقطع الإتصال و يجثم الصمت كوحش فوق قلوبنا ...

نظرنا جميعا إلي قائدنا في فزع ... أدركنا ما سيحدث الآن ... سنقتحم المبني و لكن الاسئلة التي لم نجد إجابتها بعد قذفت الرعب في قلوبنا ... فلا يوجد عدو أسوأ لنا من المجهول ...

تكلم القائد عبر جهاز الإتصال

" جيري ... إبدأ العملية .. إقتحم المبني من السطح و سنقتحمه نحن من البوابة و سنمشطه بالكامل لنتقابل في المنتصف ... الأولوية هي إنقاذ الرهائن ... أكرر الأولوية هي إنقاذ الرهائن "

ليجيبه "جيري"

" علم أيها القائد "

لتتحول نظراته إلينا بينما نقف نحن العشرة في صف أمامه متأهبين و حاملين أسلحتنا ليقول

" تعلمون ما عليكم فعله ... إبقوا متأهبين و حافظوا علي تركيزكم و أحموا ظهر بعضكم البعض "

لنجيبه جميعا في صوت واحد

" حاضر يا سيدي "

لينظر بإتجاه البوابة و يقول

" إنطلقوا ! "

حملنا أسلحتنا و إتخذنا وضع إطلاق النار ...سرنا بإتجاه البوابة بخطوات حذرة و نحن نراقب النوافذ ... تقدمنا بثبات و نحن نشكل نصف دائرة إلي أن وصلنا إلي البوابة لنقف جميعا بمحاذاة الحائط و ينظر لها القائد

" سأكون أول من يدخل ...و أنت يا سامي الأخير ... البقية يتبعونني واحدا واحدا و خذوا حذركم فقد نشتبك بمجرد دخولنا "

ثم دخل القائد و تبعه البقية و بقيت أنا إلي أن دخلوا جميعا لألحق بهم و لكن قبل أن اخطوا بداخل المبني رأيتها ...

"كارمن" ! ... كانت تقف أمامي مباشرة ... لا أدري كيف ظهرت ولا متي ولكن نظراتها إلي بعينيها التي فقدتا الحياة و من وجهها المحترق وفمها الذي لا يجد مكانه في وجهها ... إخترقت روحي لتدب الرعب بداخلي ...

كانت تحرك رأسها يميناً و يساراً و كانها تحذرني بألا أدخل ... و لكن لماذا الآن ؟ .. لقد تجاهلت وجودها طويلا إلي أن إختفت تماما لماذا إذا تظهر الآن ؟ ...

لم أفهم .. مرت الثوان تلك ببطء و كأن الزمن قد توقف و أنا أتأملها لتعاجلني ذكري مهمتي و أفيق مما يحدث و أتجاهلها مجددا فأدخل المبني و أغرق في ظلامه ...

دلفت إلي الردهة لأجد الظلام قد إلتهمها ... لا منفذ للضوء بشكل غريب رغم أن الشمس إنتصفت السماء في الخارج ... أشعلت كشاف بندقيتي لأجد بقية الجنود أمامي ... ينظرون للأعلي في ذهول و خوف و كأنهم تحولوا لأصنام ميته ...

قررت النظر إلي ما يتأملونه في صمت و يسلطون عليه ضوء كشافاتهم ليتخلل الفزع أطرافي و أشعر بها ترتعش و تصرخ للهروب ...

كانت جثث ضباط الشرطة... ثلاثة منهم... تتدلي من سقف الردهة أمامنا بحبل يحيط برقابهم ... لا أستطيع وصف نظراتهم فعيونهم لم تكن هناك ... فقط أفواههم كانت تتدلي منها ألسنتهم و تتساقط منها الدماء مع حروف كتبت علي صدورهم بالدماء ... كلمة علي صدر كل منهم لتشكل جملة واحدة

" الجحيم يرحب بكم ! "

" أيها القائد ! "

كان صوت أحمد هو من قطع تأملنا لتلك البشاعة .. لنلتفت له و يجيبه القائد

" ماذا ! "

فيبتلع ريقه و العرق يكاد أن يغرقه ليجيبنا

" الباب ... باب المجمع الذي دخلنا منه ... لقد إختفي ! "

الفصل الرابع

نظرنا الي بعضنا البعض و الرعب و الفزع قد تملك قلوبنا .. كيف إختفت البوابة ؟ ... أين ذهبت ؟ ... وما الذي يحدث ؟ ... و كما يحدث دائما المجهول يلعب لعبته القديمه بقلوبنا ليقلبها بين أصابعه و يدفع الخوف في أحشائنا ...

تأملنا وجوه بعضنا البعض و الرعب قد تمكن من عيوننا تحت أضواء الكشافات ... نظرنا جميعا إلي اللواء و الذي كاد يغرق في عرقه قبل أن يتكلم

" ما الذي يحدث هنا ! "

أمرنا وهو يضغط علي جهاز الإتصال في خوذته

" بسرعة فاليتأكد كل منكم من جهاز إتصاله "

لندرك أكثر أننا وحدنا ... فالإتصال بالخارج لم يكن يعمل و كأن شيئا ما يمنعه من الخروج ... و كأننا وقعنا في فخ معد لنا مسبقا ليعزلنا عن العالم الخارجي تماما ... و لكن كيف يختفي الباب بهذا الشكل ... ما هي القوة القادرة علي فعل شيء كهذا ؟ ...

كنت سأعتقد أنني مجنون أو أن رؤيتي لكارمن مجددا قد أثرت علي عقلي و لكن الجميع هنا الآن شاهدوا ذلك ... البوابة إختفت و أصبح مكانها جدارا إسمنتيا و كأنها لم تكن هناك من قبل و كأن الجدار كان هناك منذ الأزل ..

" لا فائدة ... الإتصال معطل حتي الفرقة الأخري بالأعلي لا يمكننا التواصل معها "

قالها "كريم" موجها كلماته للواء الذي نظر إلينا بيأس و قد بدا أنه يفكر مليا في قراره القادم قبل أن يقول

" حسنا إذا تأهبوا ... خططتنا لم تتغ ..."

قطع كلماته الصوت الذي إخترق أذاننا جميعا عبر أجهزة الإتصال ... صوت متقطع إخترق الخوف كلماته و كأن الموت هو من يعزف علي أحبال صاحبه الصوتية ليقول

" هل .. يسمعني ... أنقذوني ...أنا ... الغرفة ... خمسة ... الطابق الأول "

نظرنا جميعنا إلي اللواء ونحن ندرك من صاحب الصوت ... يبدو أن جهاز إتصاله في مدي أجهزتنا لذا وصل لنا صوته و الآن علينا التحرك لإنقاذه ممن نظنهم الخاطفين حتي الآن ..

كان السلم المؤدي للطابق الأول أمامنا مباشرة ... تجاهلنا تلك الجثث المعلقة و قبضنا علي أسلحتنا و قلوبنا و حملناها بينما نصعد درجات السلم بحذر تحت أضواء كشافاتنا ...كان كل شيء حولنا صامتا ... و كأن الحياة قد هربت من هذا المكان لتندمج مع الظلام و تشكل وحشا يغشي علي عقولنا ...

وصلنا إلي الطابق الأول ... كان يتكون من ممر أساسي يحتوي أربع شقق و ممر جانبي يحتوي علي ست شقق ثلاثة علي الجانب الأيمن و ثلاثة علي الأيسر ...

تحركنا في الممر الأساسي و بنادقنا موجهة لكل إتجاه ... نحمي ظهر بعضنا البعض و نحن نقرأ أرقام الشقق ... كانت الشقق من واحد إلي أربعة في الممر الرئيسي لذا الباقي في الممر الجانبي ... توجهنا إليه و وقفنا أمام الممر... نظر القائد إلينا قبل أن يقول

" أحمد و كريس و مايا ستحرسون الممر من هنا ... الشقة رقم خمسه خلفكم مباشرة لذا إذا أحسستم بأي شيء غير طبيعي يمكنكم تحذيرنا بسهولة "

ليجيبوا القائد في صوت واحد حمل خوفهم الدفين

" حاضر يا سيدي "

ليوجه أوامره لبقيتنا

" البقية ... سندخل الشقة معا ... إستعدوا "

إصبعي كان متأهبا علي زناد بندقيتي ... كنت خائفا .. كنا جميعا خائفين .. إن ما يحدث في هذا المكان يفوق ما قد يفعله خاطفون عاديون و لكن أيا كان ما يحدث هنا سوف ننجز مهمتنا ...

هذا ما كان يجول بداخلي و لكن حين نظرت لأعين البقية حولي كريم و سارا و تيد و حتي القائد و البقية ... الخوف في عيونهم تحت أضواء الكشافات يقول أنهم يريدون النجاة فقط من هذا المجهول ...

وقفنا جميعا متأهبين بينما قام القائد بإمساك مقبض الباب و دفعه بهدوء ... ليدلف الي الشقة بخطوات هادئة لنتبعه حذرين خائفين كمن يمشي في حقل ألغام لا ندري أيها قد تنفجر فينا ...

و لكن بمجرد أن دخلنا الشقة جميعا ... سرقت المتبقي من شجاعتنا ... كانت الشقة واسعة بشكل ملحوظ و لكن ما جعل قلوبنا تكاد تنخلع من صدورنا هي الشموع ... شموع مضاءة في كل شبر في الشقة ... و الدماء منثورة تحت أضوائها فوق الجدران و الأرض و حتي السقف و كأن فنانا ما حاول أن يحرر تحفته الفنية من عقله بإستخدام الدماء ...

و لكن تحفته فعلا كانت الجثة ...مشينا داخل الشقة وجلين ... ننظر حولنا في رعب ... كانت مكونة من صالة ضخمه مليئة بالشموع التي تشكل دائرة غريبة علي الأرض و في وسطها تماما جثة مشوهة منزوعة الأعضاء و اللحم و كل ما بقي منها هو العظام مع بقايا اللحم اللزجة المعلقة بها ...

" أيا كان ما فعل هذا لا أظنه بشرا "

قالها سمير قبل أن ألاحظ سارا و هي تسير أمامي قد توقفت عن السير و بدأت في الحركة بشكل غريب و كأنها علي وشك التقيؤ ... وضعت يدي علي كتفها لأوقفها

" هل أنت بخير ؟ "

لتنظر إلي بعينيها الخائفتين

" نعم نعم ... أنا بخير لا تقلق "

إنها مسكينة ... كيف يمكن لملاك مثلها أن يقع في مثل هذا الجحيم ... من الطبيعي ألا تحتمل روحها البريئة مثل هذا المشهد بل كيف يمكن أن يؤثر ما يحدث عليها فيما بعد ... لذا أردت مساعدتها

" يمكنك أن تستريحي قليلا "

لتجيبني وهو تحاول إلتقاط أنفاسها

" لا لا ... يمكنني أن أكمل هيا بنا "
ثم ولتني ظهرها لتتبع القائد و من أمامها إلي الممر المؤدي لغرف النوم ...
كانت الجدران مليئة بالصور العائلية ... صور لعائلة لطيفة مكونة من أب و أم و إبن يبدو من صورته أنه في العاشرة من العمر ... الأب يرتدي بذلات دائما في كل الصور لذا ظننت أنه شخصية هامة أما الأم أظن أني رأيتها من قبل و لكن لم أتذكر أين ...
قطع تأملي لمنزل الرعب حولي ذلك الصوت الفزع القادم من غرفة نوم في نهاية الممر ... كان يصرخ
" أستطيع سماع خطواتكم ... هل أنتم الفرقة ؟ ... أرجوكم أنا في خزانة الملابس لقد أغلقوها علي و أنا أختبيء داخلها "
تسارعت خطواتنا ونحن ندلف لغرفة النوم ... كانت كبيرة نسبيا مع سرير صغير في المنتصف أدركنا أنها غرفة الإبن من ملصقات ألعاب الفيديو و الافلام التي تأملئها مع صورته علي الكومود بجوار السرير و هو يبتسم فيها ... لذا إستنتجنا أن الغرفة المقابلة لها هي غرفة الأبوين.... و علي عكس الصالة فالغرفة كانت طبيعية ولكن ضوء الشموع هو ما منحها ذلك الشعور المريب و المرعب ...
وزعنا أنفسنا حول القائد وهو يقترب من الخزانة وقفنا جميعا أمامها موجهين بنادقنا إليها بينما يمسك القائد بمقبضها وينظر لنا في توتر... في حين نسمع صراخ "سون تسو" في الداخل يتوسل لنا كي نخرجه ..
" هل أنتم مستعدون ؟ "

كان الفزع هو ما يحركنا ... و كان علينا أن نضع إحتمالية أن هذا فخ في الإعتبار لذا كان الخوف يتلاعب بنا كالدمي ... حركنا رؤسنا معا مشيرين للقائد علي أننا مستعدين و لكن و بينما عيني تجول بينهم لاحظت يدي "سمير" وهي ترتعش و تهتز بعنف ... يبدو أن قلبه لم يعد يحتمل بعدما رأي المشهد في الصالة ... توقعت أن يطلق النار فورا أيا كان من بداخل الخزانة و لكن حينما رأيت مهند بجواره يراقبه بتوتر أدركت أنه قد لاحظ ذلك أيضا و أدركت أنه سيحرص علي ألا يحدث ذلك ...

و لحسن الحظ توقعي خاب حينما سحب بابها القائد ليسقط ذلك الرجل بقميصه المملوء بالعرق وقد أصبح ممزقا الآن وهو يتوسل

" أرجوكم لا تطلقوا ... لا تطلقوا ! ... أنا سون تسو .. سون تسو ! "

لننزل أسلحتنا الموجهة إلي رأسه ونحن نسحب ما نقدر عليه من الهواء ليجلس مهند علي السرير و هو يزفر بإرهاق و يمسك القائد بكتفي سون تسو بعنف و يوقفه ثم يدفعه إلي الجدار أمامنا وهو يحدثه بغضب

" ما الذي يحدث هنا ؟! ... لا يوجد خاطفين ! ... و بوابة المجمع تختفي بمجرد دخولنا و كأنها لم تكن موجودة من الأصل ! و جميع الإتصالات قطعت ! ... هل ستخبرني ما يحدث هنا أم أفرغ طلقات هذا المسدس في رأسك "

قالها وهو يخرج مسدسه و يوجهه لرأس "سون تسو" بينما نراقبه جميعا صامتين و ننظر لبعضنا البعض لينظر إلينا سون تسو في قلة حيلة و خوف قبل أن يجيبه

" حسنا حسنا سأخبرك !... لقد بدأ كل شيء من خمس سنين ... كنت أعمل أنا ومساعدي المصري علي مشروع بناء منشئات تصمد أمام القنابل النووية ...

كنت أنا صاحب الفكرة و مطورها الأساسي أما هو كان مجرد مساعد لي في مكتبي الخاص ...و لكنه كان يخفي ذكائه الشديد بشكل جيد ... كان دائما يراقبني و أنا أعمل ... يطلع علي ملفات المشروع بكل براءة ... يسئلني عن النقاط التي لا يستطيع فهمها فأشرح له كل شئ بعدم تفكير ...

ثم في النهاية ... يسرق مشروعي و يعود لبلاده و يقدم نفسه كصاحب المشروع ...للإسف لم أستطع فعل شيء فالمشروع كان سريا لا يعلم عنه شيء سوا أنا و هو ... لذا نال هو كل الفضل و حصل علي جائزة نوبل ... و أصبح من كبار الشخصيات هنا ...

أنا متأكد أنكم تعلمون إسمه ... مصطفي السيد "

كنا بالفعل نعلم الإسم و من منا لا يعلمه فهو كان أشهر شخصية في مصر لسنين مرت بسبب ما ساعد به إنجازه في بناء القاهرة الجديدة ... نظرت للقائد لبرهة قبل أن يضع فوهة المسدس علي جبين سون تسو و يأمره بمتابعة الحديث ليكمل بصوت مهزوز

" أردت الإنتقام ... و إنتقامي لن يكون مجرد إنتقام عادي .. بل إنتقام يستمر للإبد ...لذا بحثت عن أداة الإنتقام طويلا ... و عثرت عليها أخيرا ... أحجية porta inferni"

ليقطع "تيد" حديثه و علي وجهه إمارات الذهول

" لا ... لا يمكن إنها مجرد أسطورة ! "

لأسأله

" ما الذي يتحدث عنه ؟ "

و ينظر له الجميع بينما يرمقنا بعيون ملكها الرعب

" أسطورة عن أحجية قديمة علي شكل هرم ... صنعها أحد الشياطين ... كان يدعي "بايمون" ... و الأحجية مصممة لإستدعاء ما يشبه الجحيم علي الأرض ... حيث تحول محيطها لقطعة من الجحيم لذا إسمها يعني بوابة الجحيم باللاتينية .. و لكن .. بحث عنها الكثيرين علي مر الزمن و لم يعثر عليها أحد لذا هي مجرد أسطورة "

ليكمل الحديث سون تسو بينما تتحول عيوننا إليه

" لإنها لم تكن في هذا العالم قط ... عليك أن تضحي لتحصل عليها ... و قد قمت بتضحيتي منذ وقت طويل "

ليضحك و الدموع تتساقط من عينيه قبل ان يكمل

" صوتها وهي تنعتني بالفاشل لا يزال يطاردني حتي الآن ... حتي بعدما ذبحتها و زينت بدمائها جدران منزلي لأحصل علي أداتي ... صوتها لم يغادر رأسي قط "

سأله القائد و تعابير وجهه قد بدأت تتحول من الصرامة إلي الخوف

" و قد فعلت ذلك الشيء هنا ؟ ... أليس كذلك ؟ في هذا المكان ! "

ليجيبه بصوت جامد

" نعم "

لتسأله "سارا"

" و لكن كيف "مصطفي السيد" لا يسكن هنا ؟ "

ليبتسم "سون تسو" قبل أن يجيبها

" هل أنت متأكدة من ذلك ؟ ... ما تعلمونه أنه يسكن خارج البلاد و لكن ما لا يعلمه أحد أن هذا المبني هو قصره الخاص الذي يعود إليه مع حاشيته من السكان ... مبني يمارسون فيه كل ما يريدونه و يرغبون في إخفائه عن العامة "

هنا إقتربت من القائد لأقف أمام "سون تسو" مباشرة لأحدثه

" و لكن ! ... إذا كان هذا كل ما ترغب به و كل ما فعلته ... كيف خرجت من هنا في المرة الأولي لتقوم بخطتك لإستدعائنا إلى هنا و تعود معنا لهذا الجحيم ... فكما يبدو لي أنت تعاني معنا هنا ... لماذا قدتنا لهذا الفخ ؟ "

فيجيبني :

" لم تكن رغبتي ... كانت رغبة ذلك الشيء الذي إستدعيته ...قال أن علي أن أفعل هذا و إلا لن يتركني أخرج من هنا ... علي قيادتكم أنتم تحديدا لهذا الفخ ... و إلا لن يسمح لي بالخروج "

ليحمله القائد من كتفيه و يدفعه الي الجدار خلفه بقوة فيصرخ بألم بينما يصرخ به القائد

" لماذا ؟ ... لماذا يريدنا هذا الشيء ! "

" لا أعلم ... لا أعلم "

" إذا لم تخبرني بطريق الخروج الآن فسأقتلك هنا "

" صدقني لا أعلم شيئا ... كل ما أعرفه أني سمعت ذلك الشيء يخبر أتباعه عن باب مميز يؤدي للطابق الأخير ... و أن له مفتاحا خاصا ... لا بد أن هذا طريق الخروج .. نعم بالتأكيد هو طريق الخروج "

ليتحدث "كريم"

" و لكن كيف يكون طريق الخروج الصعود للأعلي "

فيجيبه "تيد" بعينيه الزائغة كمن يحاول عقله معالجة كل ما سمعه للتو

" ألا تري ... نحن خارج حدود عالمنا الآن ... كل ما سيحدث هنا سيكون خارج المنطق "

" أنظروا ... لقد عثرت علي شيء "

كان ذلك صوت مهند الجالس علي السرير وقد حمل شيئا ما بيده نظر إليه بيحرة وهو يقلبه بين يديه قبل أن يكمل

" يبدو أنا صورة ....هناك شيء غريب بشأنها ... أفراد العائلة في الصور علي الجدران خارج الغرفة .. يجلسون هنا حول مائدة و علي المائدة جثة و يبدوا أنهم يأكلون منها ... يا لله ! "

قالها بينما يهم بالوقوف وينظر إلينا بفزع قبل أن يسقط أرضا فجأة أمام عيوننا و قبل أن ندرك ما يحدث سحبه شيء ما تحت السرير بينما نسمع صرخاته ...كنا سنطلق النار و لكن القائد أوقفنا بينما نسمع صرخاته و قلوبنا تحاول الهروب من الخوف ليأمرنا

" لنخرج من هنا بسرعة ! ... لقد فات الأوان "

ليسحب "سون تسو" من ملابسه ويلقيه أمامنا بينما نخرج من الغرفة و صرخات مهند تخترق أذاننا ..

خرجنا للممر ... ثم إلي الصالة بخطوات مسرعة لنجدهم أمامنا ... مسوخ بلا ملابس .. ينحنون علي الجثة و يأكلون منها بلا توقف و بنهم ... صوت

قطع اللحم تتمزق بين أسنانهم إخترق أرواحنا بينما نقف خلفهم نتحرك ببطء نحاول ألا نجعلهم يدركون وجودنا ...

إلي أن وصلنا الي الباب .. كان القائد يتقدمنا ممسكا مقبضه و يحركه ببطء كي لا ينتبهوا لنا بينما نحن كنا متأهبين لإطلاق النار عليهم ...

فتح الباب ليخرج منه و نتبعه واحدا واحدا لنخرج من الشقة و نغلقها خلفنا ... ربما قد هربنا منهم و لكن لم نهرب من هذا الكابوس بعد ...

الفصل الخامس

غادرنا الخوف لثوان بينما نلتقط أنفاسنا لنري سمير يصرخ بهيسترية ..
" مهند ! ... يجب أن نعود لأجله لا يمكن أن نتركه "
و كاد أن يمسك مقبض الباب مجددا لولا أن أمسك القائد بيده ليتأمل عيناه بينما يقول
" لقد فات الأوان ... علينا التركيز جميعا علي الخروج من ... "
قاطعه صوت الصراخ الذي إخترق أذاننا ... نظرنا جميعا إلي مصدره فوجدناها سارا قد تركت سلاحها يسقط أرضا لتضع يديها علي فمها بينما تنظر الي بداية الممر أمامنا في رعب ..
ربما لم نلاحظ ذلك في البداية بسبب الخوف و لكن الآن الممر و المبني بالكامل كان مضاءا بضوء شاحب مهتز ... إستطعنا رؤية ما تراه سارا هناك ... جثثهم كانت ملقاة علي الأرض ...
ركض الجميع إليهم بينما أنا حملت سلاح سارا لأعطيها إياه ، نظرت إلي بحزن لتقول
" هذا كثير ... لا يمكنني إحتمال ما يحدث ! "
لأنظر إليها و قد أوشكت علي البوح بكل ما بداخلي قبل ان أمنع نفسي فأطمئنها
" لا تقلقي سنخرج معا من هنا "
لتأخذ مني السلاح بصمت و تنظر إلي الجميع في بداية الممر ثم ترد بيأس
" نعم ... ربما "

شعرت أنها تخفي شيئا و لكن لا وقت ... ركضنا إلي البقية لنري ما حدث ... و ما رأيناه كان عنوانا جديدا للجحيم الذي وجدنا أنفسنا بداخله ...

جثث كريس و مايا و أحمد علي الأرض غارقة في دمائهم و رؤوسهم مفصولة بالكامل عن أجسادهم .. و لكن ما جعل رعشة الخوف تنتابني هو ذلك التعبير علي وجوههم ... تعبير عادي و كأنهم لم يدركوا بعد موتهم ... إنه شيء مفزع ... أن تموت و أنت غير مدرك لموتك ...

" ما الشيء الذي يقتلهم جميعا في وقت واحد بهذه السرعة ؟ "

كان ذلك سؤالي لتيد الذي لم تغادر عينيه المشهد بعد ليجيبني بغضب

" لا أدري ... و لماذا تسألني أنا ؟ .. هل أبدو لك خبيرا بالجحيم او ما شابه ؟! "

" لم أقصد ! "

" انظروا حولكم جميعا ... و أبحثوا عن باب مميز ... لابد ان يكون هناك مخرج "

قالها لنا القائد بينما ينظر حوله ونحن نتفحص كل شيء حولنا .. و لكن الأبواب جميعها متماثلة و مهما جلنا بأعيينا لم نستطع التركيز و جثث رفاقنا بين أرجلنا ... كيف يمكن أن نتركهم هنا ؟ .. كيف نحاول الخروج و دمائهم لم تجف بعد تحت أقدامنا ...

تركت كل شيء و تأملته ... "سون تسو" كان يقف بهدوء بجوار القائد ... تجول عينيه في المكان و كأنه يبحث معنا و لكن هناك شيء غريب في هذا الشخص ... و كأن طبيعته تغيرت عما كانت حينما كان في الخارج ...

رآني و أنا أتأمله لينظر إلي بعينيه الضيقتين و يبتسم ... إبتسامة جعلتني أشك في كل شيء يحدث لنا ... لا يمكن أن نثق به .. فهو في النهاية من قادنا لهذا الفخ ... ولكن ... أي خيار نمتلك ...

توقفنا جميعا حينما بدأت الأضواء فوق رؤسنا بالإهتزاز ... كانت تهتز و تتردد بسرعة تدريجية و كأن شيئا ما علي وشك الحدوث ...

" أنظروا ! "

قالها كريم للجميع و هو ينظر لنهاية الممر خلفنا ... الممر الجانبي الذي جئنا منه بمجرد أن خرجنا من الشقة رقم خمسه لنلتفت جميعا و تتسارع أنفاسنا ونحن نقبض علي بنادقنا بينما نري تلك الظلال تجتمع في نهاية الممر ... تشكل هيئات بشرية و تصدر صرخات متألمة تصم الأذان ...

كانت الظلال تتقدم بسرعة غير آدمية ... لم تنتظر أصابعنا لتضغط علي الزناد و تنتطلق الرصاصات بإتجاهها لتخترقها بدون أي أثر فقط إخترقتها الطلقات كما تخترق الاشباح ...

لم نتوقف و تابعنا إطلاق النار بينما يقتربون منا أكثر فأكثر و من خلفهم الظلام يبتلع كل شيء ... تحدث القائد وهو يحافظ علي نظراته بإتجاههم..

" يجب ألا يبتلعنا الظلام ...علينا التراجع ... الآن "

نظرت حولي محاولا إيجاد منفذ أو مهرب ... يجب أن أعثر عليه و إلا سيكون مصيرنا كأصدقائنا ولكن لا شيء ...لا شيء غير العودة لمكان البوابة الرئيسية و سنحاصر هناك ... هل سنلقي حتفنا هنا في النهاية ! .. ولكن إجابة سؤالي ظهرت أمامي ... كانت تقف هناك في نهاية الممر الرئيسي الذي كنا في منتصفه ...تنظر إلي بعينيها المحترقتين و بوجهها عديم الفم ...

كارمن كانت تقف هناك و تشير بيدها الي الشقة بجوارها ... إنها تساعدني بلا شك !

" هيا جميعا إتبعوني ! "

صرخت بهم و أنا أسحب سارا من ذراعها وهي لا تفهم شيئا ، تابعوا إطلاق النار لثوان قبل أن يصرخ بهم القائد

" هيا وراءه ! "

ليركضوا خلفي جميعا و تتبعنا الظلال و خلفها الظلام وهي تصرخ نظرت خلفي لثوان فقط لأتأكد أن الجميع خلفي ثم عدت ببصري لكارمن لأجدها قد إختفت ...وصلت إلي الشقة و كانت تحمل الرقم واحد .. أمسكت المقبض بسرعة و دفعت الباب لأدلف بالداخل و يتبعني الجميع و يغلقوا الباب بسرعة ...

إلتقطنا أنفاسنا ونحن نتوقع أن تدخل خلفنا الظلال و لكن صوت صراخهم قد إختفي معلنا نجاتنا منهم و لكن صوت كريم الذي إخترق الصمت و هو يقول

" يا إلهي ! "

أنبأنا أننا لا زلنا في البداية فقط

الفصل السادس

هذا المكان لم يكن شقة كما نعتقد بل كان أشبه بغرفة عمليات ضخمة ... كانت غرفة واحده فقط مع أجهزة كثيرة في كل مكان و سرير في المنتصف ، و فوق السرير كان ينام شخص ما ...

بدا لنا أنه ميت فقد كان جسده مفتوحا من تحت رقبته الي الحوض و لكن لا أثر لأي شيء أخر علي جسده ... و حول سريره كانت تقف خمسة تماثيل مانيكان بدون أي ملامح تحمل كل منها شيفرة في يدها و تقف مكانها في ثبات ...

كان كل شيء في هذا المكان يبعث علي الخوف و يعبق برائحة الموت ... الفورمالين ...

" هل ... هل لي بإنتباه... إنتباهكم من فضلكم "

صدر ذلك الصوت المهتز من شاشة كبيرة تتدلي من ساق حديدية من السقف في منتصف الغرفة ...

أسرت أنظارنا جميعا لنري ذلك الوجه النحيل يملأ الشاشة ويتحدث بصوت مهتز خال من المشاعر

" إسمي الطب... الطبيب بارتنر ... و ن..نعم أنا م ...م ..من ترونه أمامكم ....علي السرير ... ميت .. فاقد ل..ل..للحياة و للروح ...

هل ت...ت..ت..تعلمون ما هو الألم ... ذلك الشعور... الرائع الذي يحذ..ذ..ذرك به جسدك من ... الخطر .. كان النازيون يما....رسون الكثير

من التجارب ....لتحدد طبيعة الألم علي الأسري ... و أنا و كأي طبيب حالم ك...ك...ك..كنت أكمل تجاربهم هنا ... في هذا المكان ...

و لكن يبدو أن هناك ش ....ش...شيئا ما يفوق فهم قدراتي و قدراتكم البشرية قد... قرر أن يكون مصيري كتجاربي ... لذا أنا هنا أمامكم ....

أعلم أن... أن... أنكم تريدون الخروج ... و مفتاح خروجكم بداخلي ... داخل أمعائي تحديدا ... لذا عليكم إيجاده ... بالتوفيق "

نظرنا إلي بعضنا البعض ليثبت القائد نظره إلي "سون تسو" قبل ان يتحدث

" إذا يبدو أن ما قلته حول وجود باب للخروج صحيح ! "

ليجيبه "سون تسو" بقلق

"بالتأكيد لن أكذب ... فأنت .. أنت كنت توجه مسدسا لرأسي "

" إذا كل ما علينا فعله الحصول علي المفتاح من أمعائه ؟ "

كانت تلك "سارا" قبل أن يجيبها القائد بغضب

" إنه يبدو كفخ لي ... لذا "سون تسو" من سيأتي به "

لتتسع عينا "سون تسو" وهو يحاول الحديث

" ما ماذا تقصد ؟ .. لماذا علي الذهاب و أنت تعلم أنه فخ ! "

فيصرخ به القائد أمامنا

" لأنك من أحضرتنا إلي هنا ! "

فيجيبه سون تسو وهو يحاول تجميع المتبقي من شجاعته

" لا "

" ستفعلها أو سأقتلك هنا الآن !"

ليقولها وهو يرفع بندقيته بإتجاه رأسه فيصمت "سون تسو" و هو ينظر إلينا محاول طلب المساعدة و لكن لم يجد إجابة منا في الواقع لم اتوقع أن يعارض أحد القائد و لكنه تقدم ... من بيننا جميعا ... كريم ...تقدم للأمام و تحدث بثبات

" أنا سأذهب "

يا إلهي ! ... لماذا دائما يريد أن يكون بطلا ... لماذا دائما يريد أن يضحي بنفسه لإنقاذ الجميع ... كدت أنسي أنه دائما هكذا و مهما حاولت تفسير طبيعته لم أستطع .. فمنذ عرفته وهو دائما يحميني .. دائما ينقذني ... بل ينقذ الجميع ..

و لكن القائد كان له رأي أخر

" لا ... و سوف تطيعوني جميعكم أو أقتلكم الآن لعصيانكم الأوامر ... هو من سيذهب ولا أحد أخر ... لقد فقدنا الكثير بالفعل و لا أنوي فقدان المزيد ... و لا أعلم بشأنكم و لكني أنوي العودة لحفيدتي و أنت يا كريم تنوي العودة لزوجتك و أبنائك ... لذا هو من سيذهب "

صمت الجميع ... لم يستطع أحد الرد ... لا أعلم بشأنهم و لكني بالتأكيد أوافق علي قرار القائد منذ البداية ... فذلك الرجل مذنب و عليه دفع الثمن الآن ..

لا يزال ينظر إلينا بنظراته اليائسه عاجز عن الحركة و كأن قدميه لا تستجيب له ... و لكن القائد صرخ في وجهه

" تحرك ... الآن ! "

ليولي ظهره لنا في صمت بينما نراقبه ... سار بخطوات متثاقلة ليتجاوز التماثيل حول السرير ... كان مترددا .. كان يتمني لو تحدث معجزة الآن تمكنه من الهرب و لكن لا اظن أن هناك معجزات تحدث في الجحيم ...

إقترب من السرير و وقف بجوار الجثة .. وضع ذراعه اليسري فوق أنفه فبالتأكيد الرائحة بجوارها كفيلة لتفقده الوعي ...نظر إلينا في محاولة توسل أخيرة ولكن كل ما رآه هي بندقية القائد موجهة الي رأسه و لا أظن أنه يريد تجربة قدرة قائدنا علي التصويب ..

نظر إلي الجثة أمامه مجددا بينما يكتم أنفه ليرفع يده اليمني و يضعها بداخل أمعائها و لكن بمجرد أن غاصت يده في الجثة أصدرت الجثة أنينا متألما و بدأت التماثيل في التحرك بإتجاه "سون تسو" ... رفع يده بسرعة لينظر لنا و قد أدركنا الفخ ...

و لكن عليه أن يستمر و إلا سيقتل الآن ... عليه أن يغامر من أجل إنقاذ حياته ... إستجمع شجاعته مجددا بينما نراقبه ليعيد يده إلي داخل أمعاء الجثة فتبدأ في الأنين من جديد ... و تتحرك التماثيل و تقترب أكثر فأكثر... يبدو أن العثور علي المفتاح في الأمعاء هو شيء صعب مرت دقيقتان و التماثيل تقترب منه ببطء وهو ينظر إليها و الدائرة حوله تضيق اكثر فأكثر في رعب ..

حاولنا مساعدته بإطلاق النار عليها و لكن الرصاصات لا تؤثر بها بل لا تخترقها حتي و تتساقط حولها معلنة إستسلامها ... لذا هو وحده في هذا الأمر و القائد لن ينزل بندقيته أبدا...

ضاقت الدائرة أكثر و معها تنعدم فرصه في الهروب لذا عليه العثور علي المفتاح الآن ... حرر أنفه و وضع يده الأخري في الأمعاء لتخترق رأسه الرائحة فيشعر بالدوار و يكاد يسقط أمام أعيننا و لكنه يتمالك نفسه و يحرك يده بعنف داخل أمعاء الجثة بينما تتسارع الدائرة و تضيق شيئا فشيئا ...

توقف فجأة ... أدركنا انه عثر عليه .. إنتزع يديه من الجثة وهو يمسك بالمفتاح و يرفعه لأعلي لنراه ... لقد أنقذنا و لكن ... التماثيل لا تتوقف .. و تقترب منه أكثر فأكثر ... لم يعد له مهرب من بينهم .. نظر إليهم في فزع ثم الي القائد ... و في فعل لم يتوقعه أحد منا رمي إلينا المفتاح معلنا إستسلامه لمصيره ...

ربما لم يفهم أحدنا فعله البطولي ولكن القائد قد فهم ... ليطلق النار علي رأسه من وسط التماثيل التي حاصرته بدأت في غرس الشفرات في جسده ... ليسقط جثة بين أيديه بينما يركض كريم ويسمك بالمفتاح ويعود إلينا...

" هيا علينا الخروج الآن "

قالها القائد و هو يهم بفتح الباب ولكن سمير أمسك بيده

" و تلك الأشياء بالخارج ! .. لا لايمكن "

و لكني كنت أتأمل تلك التماثيل وهي تمزق جسد سون تسو .. لم تكن تمزقه بينها فقط .. بل كانت تنصهر فيما بينها و تندمج مع جسده ... كانت تتحول لشي أخر .. شيء يشبه عنكبوتا يتشكل من رؤوسها الخمسه ورأس سون تسو في المنتصف .... كان ضخما يقف علي عشرة أزرع و عشرة أقدام و يتأملنا بعيونه الإثنتي عشر بحقد ..

كان المشهد كافيا ليخرسنا جميعا .. فمن رآه كان أنا و سارا و كريم و تيد و قد شلنا عن الحركة حتي لم يحاول أحدنا إطلاق النار عليه بينما سمير و القائد مشغولين بنقاشهما ..لألتفت لهما و أصرخ

" علينا الخروج ... الآن ! "

ليلتفتا إلينا في ثوان ويشاهدا العنكبوت الضخم وهو يصدر صوت صراخ بشع فيدفع القائد الباب بكتفه و يركض خارج الغرفه و نتبعه خارجها ... لم نعلم إلي أين نذهب ... و لكن الباب المنقوش برمز مفتاح و الذي ظهر من العدم وسط الممر أخبرنا عن وجهتنا ...

ركضنا بأقصي سرعة لنا و ذلك الشيء خلفنا ... صوت صراخه لم يخترق أذاننا فقط بل عقولنا كذلك ... شعرنا به يسحب أرواحنا أحسسنا بالضعف و الإرهاق يتملكنا ... و لكن كان علينا مواصلة الركض ...

حاولنا إبطائه بطلاقاتنا ولكن بلا فائده ... وصلنا الي الباب و هم القائد بفتحه .... أدخل المفتاح في الفجوة بينما وقفنا خلفه نطلق سيل الرصاص بلا توقف علي ذلك الشيء ...

ليفتح الباب خلفنا و يدفعه القائد و ينطلق خلفه بينما نتبعه جميعا ...دخل كريم وسارا و تيد ولم يبق سواي وسمير ...

أشار لي برأسه أن علي أن أسبقه .. فسبقته الي خلف الباب و أنا أصرخ به " هيا .. الآن "

ولي ذلك المخلوق ظهره لينظر إلي ويبدأ بالركض .. و لكن عيناي إتسعت ولم أصدق ما يحدث حينما إنطلقت رؤوس ذلك المخلوق و إمتدت تلك المسافة لتمسك بقدمي سمير بين أسنانها ...

أمسكت بذراعيه و أنا أرمق وجهه بخوف ...صرخت به

" لن أتركك .. لا .. لن أتركك "

ليقابلني بإبتسامة ثم يترك يدي ... فيسحبه المخلوق بينما يغلق الباب خلفه تلقائيا و كأن ذلك الفصل الذي ممررنا به قد إنتهي

الفصل السابع

كنت منحنيا أحاول إلتقاط أنفاسي بعدما إختفي الباب الذي دخلنا منه كأنه لم يكن ... إبتسامة سمير تتردد في خيالي و كأنها فيلم لا ينتهي ... لماذا عليهم أن يكونوا أبطالا ! ... هل ظن أنه بهذا ينقذني ؟ ... لا فائدة علي هذا المعدل فجميعنا موتي علي كل حال لن يختلف الأمر إن مت الآن أو منذ دقائق ... الموت سيحصل علينا في النهاية ...

رفعت عيناي لأنظر للبقية كانوا قد سقطوا علي الأرض يحاولون الحصول علي ما يستطيعون من الهواء لقد أرهقنا ما ممرنا به و لكن المجهول أمامنا يحمل في طياته الكثير ...

لمحتها من طرف عيناي ... تمسك ببندقيتها و توجه فوهته إلي رأسها ، تحاول إستغلال عدم إنتباهنا لكي تقتل نفسها و لكني ركضت و قفزت فوقها لأُقذف بندقيتها بعيدا ... كانت أسفل مني ترمقني بعينين لائمتين و مجددا أجد نفسي غارقا فيهما ..

لم ينتبه أحدهم لما حدث و لكن صراخي فيها قد أسر إنتباههم

" ما الذي تحاولين فعله ؟! ... تحاولين الإنتحار ! "

لتجيبني بغضب

" لم أعد أحتمل ... هذا كله بسببي ... علي إنهاء كل شيء ... لم أعد أحتمل !! "

وقعت كلماتها في نفسي كسهم أصابني ... إبتعدت عنها وسط نظرات الجميع لأتراجع للخلف و أسند ظهري علي الجدار و أنا أسألها

" ماذا تعنين بقولك أن هذا كله بسببك ؟ "

تأملتني لثوان قبل أن تقف وهي تتجه لسلاحها

" لا ... لا شيء ...لا أعني شيئا "

أدركت أنها كانت علي وشك الإنهيار ولكنها إستطاعت إستعادة رباطة جأشها مجددا ... تأملتها و هي تلتقط السلاح و الجميع حتي القائد صامتون لا يدرون ماذا عليهم القول و لكن علي أحدهم المواجهة و لن تجعلني مشاعري أتساهل معها إن أخفت شيئا هنا فحياتنا جميعا علي المحك الآن ... لأوجه لها كلماتي مجددا

" هل تخفين شيئا ؟ "

إلتفتت إلي بغضب

" لا شأن لك ! ... ثم .. أظن أنك أنت من تخفي شيئا عنا جميعا "

شعرت بالقلق لأنظر للجميع لأجد نظراتهم موجهة إلي ... هل لاحظوا شيئا ! .. هل فعلت شيئا وأنا لا أدرك أني فعلته .. أم أن نظراتهم مجرد رد فعل لسؤالها ...

لم أعذب نفسي كثيرا بالأسئلة لأقرر مواجهتها بينما أُقف كند أمامها

" ماذا تعنين ؟ "

إبتسمت و ما أجملها من إبتسامة قبل أن تكمل

" جميعنا هنا سمعناك تردد ذلك الإسم منذ دخلنا ذلك الجحيم ... كارمن ... كارمن ... كارمن ... في وسط القتال تنظر لإتجاه أخر و تنادي ذلك الإسم! ... ثم يبدو لنا انك تبعته و قدتنا للغرفة التي وجدنا فيها المفتاح ... لذا أظن ... إذا كان أحدنا يخفي شيئا فهو أنت "

يا الله ! ... هل كنت أفعل ذلك حقا و أنا لا أدرك .. هل كان إسمها يردده لساني بلا وعي مني ... ظننت أن صحتي العقلية تدهورت من جديد لأعود لعادتي القديمة مجددا ... أنادي إسمها عسي أن تجدني و تساعدني ..أبحث عنها في كل مكان ... بدا لي أنني أفقد السيطرة علي نفسي مجددا ... نظراتهم لي تخبرني بذلك حتي كريم لم أسلم من نظراته ... ينظرون إلي بشك وخوف و لن ألومهم فمن لا يخاف من شخص يمكنه رؤية الموتي ... " أري الشك و الخوف يتمكن من أعينكم ... حسنا إذا .. سأخبركم بكل شيء "

بدأ كابوسي حينما كنت في السادسة ... أحاول النوم في غرفتي أغوص أكثر و أكثر في غطائي عسي أن يحميني من الوحوش التي تسكن الظلام ...

كنت أشتكي لوالدي دائما بشأن الوحوش و لكن من يهتم بخيال طفل واسع ؟ ... من يفكر في محاولات طفل يائس لجذب إنتباه والداه ؟ .. أظن أنهم إستطاعوا إيجاد كل تفسير ممكن للوحوش التي أراها ليلا في غرفتي و لكنهم لم يضعوا أبدا في رأسهم إحتمال أنها قد تكون حقيقية ...

أن سبب بكائي كل ليلة هم الوحوش أن سبب قضاء حاجتي في السرير هم الوحوش .. وحوش بشعة تحاصرني ... تلتف حولي و تحاول النيل مني ...

لا أعرف لماذا و لكن ربما لإدراكهم أني أستطيع رؤيتهم ... هل أحاول وصفهم ؟ ..

حسنا أتذكر أنهم كانوا بهيئات بشرية و لكن جلود بعضهم كانت ذائبة و الأخرون كانت جلودهم محترقة ... لا يمتلكون عيونا و لكني دائما كنت أشعر أنها نزعت منهم ..

تتسرب من أجسادهم الدماء بإستمرار و يصرخون تزامنا معها كأنهم في عذاب أبدي ... أحيانا قليلة نادرة ظننت أنني سمعتهم يطلبون المساعدة و أحيانا أكثر كل ما أسمعه منهم هو الصراخ و الغضب ...

و لكن كل شيء هدأ حينما ظهرت هي ... من العدم كملاك أتي لينقذني ... ربما ملاكي عيناه كانت محترقة و فمه كان ذائبا و الجروح و الدماء المتجلطة تغلف جسده و لكنه أنقذني منهم ...

منذ ظهرت كارمن و الموتي لم يعودوا يصرخون بي ولا يحاولون أذيتي بل أصبحت أفهمهم و أستوعب ما يقولون ... جعلتني أعدها ألا أخبر أحدا حينما كنت طفلا لذا إحتفظت بكل شيء داخلي ...

إلي أن مرت السنين و بدأ الأمر يتحول لكابوس مجددا ... لا يمكنني أن أحيا حياتي و يمكنني رؤية الموتي ... لذا أخبرت جدتي عسي أن تجد لي حلا .. لا أعلم لما أخبرتها و لكنها كانت الأقرب لي من والدي و علي غير المتوقع كل ما قالته لي أن احافظ علي الهبة التي أعطاها الله لي ..

و لكنها لم تمر بما مررت به و لم تري ما رأيت ... كنت أعيش معاناة سكان القاهرة القديمة كل يوم .. صرخاتهم تدك مضجعي آلامهم تضرب جسدي ... و مشاهدتهم يموتون بإستمرار كاد أن يقودني في النهاية الي الجنون ...

لذا قررت تجاهل كل شيء ... أصبحت أتجاهل وجودهم و أتجاهل كارمن ... مهما حاولوا التواصل معي بل مهما حاولت الحديث إلي كنت فقط أتجاهل صوتها و كأن لا وجود لها ...

و بمرور الوقت ... تلاشوا ... إختفوا كأخر لمحة من ضوء وسط الظلام .... لم يعد لهم وجود حولي و لم أعد أستطيع رؤيتهم ... ظننت أنني تخلصت

من اللعنة أخيرا ... و لكن بمجرد أن دخلت هذا المكان و أري لمحات منها ... و كأنها تحاول التواصل معي مجددا و كأنها تريد مساعدتي أو ربما أنا من أحتاج مساعدتها ...

حينما إنتهيت رأيت ملامحهم ... شعرت بالخوف الذي يتملكهم الآن القائد و تيد و كريم كانوا يقفون حولي و ينظرون إلي بحيرة و كأن عقولهم تحاول فهم ما سمعوه للتو ..

و لكن كريم إقترب مني فجأة ... ضمني إليه و ضغطت علي ظهري بقوة ليهمس في أذني

" كان عليك إخباري ... أنت صديقي و لن أخف منك أبدا "

شعرت بالدموع تملأ عيني ولكني مسحتها بسرعة قبل أن ينتبه أحد و أنا أبتعد عن كريم لأنظر للقائد و الذي بدا متفهما وهو يحافظ علي صمته بينما تيد كان يمكنني الشعور بنظراته المرتعبة ..

أما سارا فكانت تقف مكانها بتعابير وجه محيرة لم أستطع فهمها و لكن كان يمكنني الإحساس بشعورها بالذنب عما قالته لي ...

لم أتأمل وجهها كثيرا فصوت القائد قد عاد للواقع مجددا

" هيا علينا التحرك .. نحن لم نخرج من هنا بعد "

نظرنا إليه و نحن نقبض علي أسلحتنا بصمت بينما تجاوزنا ليقترب من سارا و يوجه كلماته لها بحزم

" و إن حاول أحدكم الإنتحار بدون إذن فسأضمن أن جثته لن تستريح للإبد "

لتجيبه سارا بلا نقاش

" حاضر يا سيدي "
لينظر للممر الذي تجاهلنا وجودنا فيه منذ عبرنا من ذلك الباب قبل أن يقول
" و الآن أين نذهب ؟ "
لم يجد أحدنا إجابة علي سؤال القائد و لكن الممر كان يختلف بشكل جذري عن السابق حيث كان يمتد من أمامنا و خلفنا بشكل لا نهائي إلي الأفق و الشقق علي يمينه و يساره لا تنتهي و الضوء الشاحب المهتز من السقف لم يتغير ...
إستمر الصمت لدقائق و نحن نفكر فيما علينا فعله و أنا أتمني لو تظهر كارمن مجددا لتدلنا علي شيء و لكن يبدو أنها لا تستجيب لإرادتي بعد الآن
" حسنا يبدو أننا سنستمر في السير فقط "
قالها كريم للقائد و الذي بدا موافقا علي إقتراحه فلا حل أخر أمامنا و لن نخرج من هنا إن بقينا مكاننا كما نحن لذا بدأنا بالتحرك بخطوات حذرة و مستعدة للإشتباك في أي لحظة مع أي شيء كابوسي قد يخرج من وراء أحد الأبواب ...
إستمرينا في السير لدقائق طويلة و لكن الممر لا ينتهي و لم يظهر أي ممر جانبي حتي الآن ...و كأننا سنسير بنفس الإتجاه للإبد
" هذا المكان يعبث بنا بلا شك ! "
قالها تيد و لم أكد أجيبه ليندفع أحد الأبواب من الجانب الأيمن ويصطدم بالجدار و يسقط أمامه رجل بزي الشرطة و الدماء تسقط من كل مكان في جسده ..

أدركنا أنه الشرطي الرابع لنركض لمساعدته و لكنه نظر إلينا بعيون تشبعت من الخوف ليمد لنا يده ويصرخ

" أهربوا ! "

قبل ان تخترق جسده رصاصات قادمة من الشقة و يسقط صريعا و قبل أن نستطيع مساعدته ، لنثبت في مكاننا و نرفع أسلحتنا فأيا كان من قتله فهو سيخرج الآن من الشقة ليواجهنا ...

أيا كان من قتله فهو مسلح مثلنا لا أعلم هل دفعنا هذا الهاجس للإطمئنان قليلا فإدراكنا أن شيئا في هذا المكان مسلح هو أقل رعبا من الأشياء التي رأيناها سابقا و ربما علي الأقل يمكننا قتله او إصابته..

و لكن ذلك الهاجس قد هرب من عقولنا حينما سمعنا ذلك الصوت الأنثوي الطفولي وهو ينادي

" أمي... هل أنتي هناك ! "

نظرنا إلي بعضنا البعض في خوف ... تأملت كريم وقد كان علي وشك الذهاب لتلك الشقة و لكني أشرت له بألا يفعل .. .أعلم أن عاطفة الأبوة قد لا تبدو منطقية أحيانا و لكن في هذا المكان لا يمكن أن توجد طفلة ... هذا المكان خلق ليعذبنا فقط ...

حافظنا علي موقعنا و أسلحتنا بإتجاه تلك الشقة و الصوت إستمر بالتحدث و هو يعلو شيئا فشيئا لندرك ان صاحبته تقترب أكثر

" أمي ! ... هؤلاء الرجال أذوني ... لقد آلموني و جعلوني أصرخ بقوة ! "

صوتها جعل أطرافنا تهتز ...هذا الشيء لم يظهر بعد وهاهو يعذب عقولنا ونحن ننتظر ولكن أحدنا كان تأثير ذلك الصوت عليه مختلفا ... لاحظت

العرق علي وجه القائد و قدماه اللتان بدأتا في الإهتزاز ... أكاد أقسم اني لم أره خائفا هكذا من قبل ...

و لكن إنتباهي قد أخذته صاحبة الصوت حينما مدت يدها الشاحبة للخارج ليتبعها جسدها و تخرج أخيرا ، فتاة نحيلة تبدو في العاشرة و الشعر الأسود الطويل يغطي نصف وجهها ، ترتدي ما يشبه البيجامه و تحمل دبا قطنيا صغيرا بيمينها و تسير بخطي متثاقلة و كأنها تعاني كي تستطيع السير مع دماء تقطر من بين ساقيها و تخرج من ظهرها ما يشبه أربعة أنابيب مرنة مجوفة تجرها ورائها علي الأرض و تسيل منها الدماء ..

" لا ... لا لا يمكن ! "

قالها القائد بينما تتسع عيناه وهو يتراجع للخلف

نظرنا له في تردد ، لم نفهم ما يحدث لماذا يتراجع الآن ؟ بل لماذا يبدو انه يدخل في حالة من الفزع بعد كل ما مررنا به و لكن هذا ليس وقت إجابة أسألتنا ... لنتراجع معه بخطوات ثابته بينما تقترب منا الفتاة وهي تصرخ

" أبي ! ... لماذا قتلتني ؟ "

ليصرخ القائد بينما نتراجع

" لا ... لا لم أفعل ... لم أقتلك ! "

نظرنا لبعضنا البعض و نحن لا نفهم شيئا و لكن ما قررناه بدون حتي أن نصدر كلمة واحده أن علينا إنهاء هذا الوضع ... لذا أخذنا وضع إطلاق النار و تأهبنا لنطلق العنان لرصاصتنا و لكن صوت الطلقة إخترق أذاننا قبل أن يضغط أحدنا علي الزناد .. ليسقط تيد بجوارنا علي الأرض وهو يصرخ و الدماء تتفجر من ساقه ..

نظرنا إليه وهو يقف خلفنا و ملامحه سيطر عليها الفزع ... لم نستطع فهم فعلته و لكن ما فهمناه أنه لم يعد قائدنا الذي نعرفه منذ أطلق النار علي تيد ...

رفعت سلاحي في وجهه بينما بقي كريم موجها سلاحه للفتاة وسارا تحاول إيقاف نزيف جرح تيد بينما يصرخ من الألم علي الأرض .. تأمل وجوهنا الحائرة و هو يحرك سلاحه يمينا و يسارا و كأنه يحاول أن يأخذ قراره في داخله .. هل يقتلنا أم يقتل الفتاة ...

بقينا في هذا الوضع الصفري لثوان قبل أن أقرر الحديث

" هل تنوي إخبارنا بما يحدث ؟ "

ليتحدث بصوت مهزوز خائف

" إنها إبنتي ... إبنتي الصغري ... حية .. لقد ... لقد قتلها الخاطفون أمامي بعدما إغتصبوها ... كان هذا قبلكم بزمن طويل و هي ... هي حية الآن .. أمامي ... لن أسمح لكم بقتلها مجددا ! "

" إنها تقترب ! "

قالها كريم لنا وهو يحاول ألا يطلق النار حتي لا يقتلنا القائد لأصرخ بوجهه

" هل جننت ! ... أنت تعلم جيدا أين نحن !! .. هذا الشيء .. لا يمكن أن يكون إبنتك ! "

" إخرس ! "

قالها و أطلق النار علي الجدار بجواري لأتراجع خطوة للخلف

" أيها القائد .. علينا الهرب الآن ! "

صرخت به سارا و لكن كلماتها لم تجد منفذا لأذنيه و لكنه واصل الحديث

" هل هم من قتلوها حقا ! ... أم أنا من قتلتها بعدما إقتحمت فرقتي المكان و رأيت ما فعلوه بصغيرتي ... ترقد هناك ... مشوهة ... مهتوك جسدها ... تتألم و تئن ... لم أحتمل أن أراها في هذا العذاب ... قتلتها بهدوء وهي لا تدري ما الذي حدث ... و أخبرت الجميع أننا وصلنا متأخرين ! ... نعم أنا ... أنا من قتلها "

نظرنا إليه نحن الثلاثة في رعب ... لقد إنهار قائدنا أمامنا .. لقد إنهار الشخص الوحيد الذي نثق به جميعا ليقودنا خارج هذا المكان .. لقد فقد عقله و كأن ذكرياته عن جريمته التي إرتكبها و جمحها طوال هذه السنين قد إنفجرت الآن كالبركان لتدمر كل ما بقي منه بداخل رأسه ..

" أنظروا لما يحدث ! "

قالها كريم بينما يراقب الفتاة في هلع ، إلتفتنا جميعا إليها لنري إحدي الأنابيب الممتدة من ظهرها قد إخترقت جثة الشرطي خلفها و بدأت بدفع الدماء داخله ...

ليفتح الشرطي عيناه و قد تحولتا للون أحمر دموي و يحاول النهوض و لكنه يسقط مجددا كطفل يجرب المشي أول مرة و لكنه ينجح في المرة التالية ليقف أمامنا و يحمل مسدسه و يوجهه في إتجاهنا و يبدأ بإطلاق النار ..

" يبدو أن علي قتلها مجددا ! "

قالها القائد و قد بدأ يركض ليتجاوزنا وهو يطلق النار عليها من بندقيته و لكن جسد الشرطي يقف أمامها ليتلقي الرصاصات عنها و يحميها

ليصرخ فينا القائد مجددا بينما نتأمل ما يحدث في ذهول و قد شلت حركتنا

" اهربووا ! "

لنستعيد وعينا و نحمل تيد أنا و كريم وتسبقنا سارا ونحن نحاول اللحاق بها وصوت طلقات بندقية القائد يتردد في أذاننا ليخبرنا أنه لا يزال حيا يحاول أن يبطئها عنا ..

و لكن لم تكد الثوان تتحول لدقائق لنسمع صرخة ألمه فأنظر للخلف ونحن نحاول الركض بساق تيد المصابة فأري إحدي أنابيبها قد إخترق جسد القائد و قد أسقط سلاحه و بدأ تدفق دمائها الملوثة إليه ...

و لكن .. و لكنه يحاول مصارعتها بينما نبتعد عنهم أكثر فأكثر لم أصدق قط كيف يمتلك قائدنا هذه القدرة علي الصمود فمنذ عرفته وهو ذلك الشخص الذي مهما وجهت إليه الضربات لا يزال قادرا علي الوقوف من جديد و القول " هات أسوأ ما لديك "

كم من مرة رأيته ينقذ كل الفرقة بجسده حينما يحمينا من قنبلة و يلقيها بعيدا أو كيف يسبق الجميع بدخوله لأي منطقة مجهولة كي لا يضحي بأحدنا أو حينما رأيته ينقذ مهند من أحد أفخاخ الإرهابيين مع إحتمالية أن قد يقتل معه أو حينما أنقذني من نفسي بعدما قتلت هؤلاء الرهائن بالخطأ ..

لقد كنت علي وشك الإنتحار ... أخبرني أننا جميعا نرتكب الأخطاء و أحيانا تكون أخطائنا مهولة و جسيمة لا يمكن تجاهلها أو التعايش معها ولكن ... إن لم نقف أمامها فستتمكن منا و ستجعلنا نرتكب المزيد منها ..

إذا لم أقف و أصمد أمام ذنبي ... فسيحطمني في النهاية ... ربما لم أقتنع بكلماته وقتها ولكن رؤيته الآن بينما نهرب بأرواحنا وهو يصارع شبح إبنته لكي ينقذنا جعلتني أدرك أخيرا ...

أن علي الصمود و القتال ... علي النهوض مجددا كما ينهض القائد ... علي الصراخ في وجه الضربات و قد سمعته يقولها للشيء أمامه بينما نهرب

" هات أسوأ ما عندك ! "

ليخرج مسدسه و يوجه فهوته لرأسها و يطلق ثلاث طلقات قبل أن تسقط أرضا جثة هامدة و يسقط معها ..

توقفنا لثوان حتي نتأكد مما حدث ... دعونا الله بداخلنا أن يكون حيا أردنا أن نؤمن أن وقته لم يحن بعد ، نظرنا له وهو يحاول الوقوف و يستند علي ذراعيه بينما ذلك الأنبوب يخترق صدره ..

إلتفت إلينا برأسه و رغم المسافة بيننا إلا أنني إستطعت رؤية ملامح الهلع علي وجهه وهو يصرخ

" أهربوا ! .. إنها لا زالت حية ! "

لتنهض في ثوان كوحش غاضب إستيقظ من ثباته و تحمل جسد القائد بيدها من رقبته أمام أعيننا لتضغط عليها فتتحطم عظامه الهشة بين أصابعها النحيفة ..

و نحن نتابع الركض والدموع تحاول الهرب من أعيننا بينما جثة القائد تقوم من موتها كما حدث للشرطي و تلتقط السلاح لتبدأ بإطلاق النار ..

فأصرخ في سارا

" علينا دخول أي شقة الآن ! "

لتنظر إلي لثوان قبل أن تدفع أول باب يقابلها و تدخل فنتبعها الي الداخل و نغلق الباب خلفنا ...

سقطنا جميعا علي الأرض مباشرة بمجرد أن أغلقنا الباب بينما يتألم تيد من الجرح في ساقه .. نظرت إليه لأتأكد أن النزيف قد توقف وقد أوقفته سارا بالفعل ..نزعنا خوذنا فلم نعد نحتمل بقائها فوق رؤسنا ..

نظرت حولي لثوان تحت الضوء الشاحب المهتز لأجدنا في مكان بعيدا تماما عن أي شقة يمكن تخيلها ...

الفصل الثامن

لم نمتلك الوقت لإلتقاط أنفاسنا أو التفكير فيما قد حدث منذ ثوان فمشهد ذلك المكان قد نزع منا أنفاسنا ... حجرة متسعة مربعة الشكل تتسع لعشرات الجثث التي تتدلي من السقف و تتراص وراء بعضها البعض بينما تسير فوقها الحشرات و العناكب و يحيط كل الجثث ما يشبه شبكة عنكبوت ضخمه ..

كان الجو باردا بشكل ملحوظ و كأننا دخلنا إلي ثلاجة لحفظ الجثث أمامنا حيث كل جثة كانت مفتوحة من أسفل الرأس لفوق الحوض و خالية تماما من أي أعضاء يمكن ملاحظتها ، فقط عظام و لحم و جلد حتي عيونهم لم تكن هناك ...

نظرت إلي رفاقي لأجد كريم يجلس تيد و يسند ظهره للجدار بينما سارا كانت مأسورة بالمشهد مثلي تماما ...

" أخبرتكم أن هذا المكان يعبث معنا ! "

قالها تيد لكريم بينما يقف وهو يتأمل المشهد معنا و يلاحظ شيئا ما بينما يقترب من إحدي الجثث و يلتقط شيئا ليقول

" أنظروا ... إنها بطاقة هوية .. هذه الجثة تعود لشخص إسمه سالم محمد الأبنودي "

لم ينل الإسم إنتباهي فلا أتذكر أني سمعته قبلا أما سارا فقد أشارت بكتفيها أنها لا تعلم عنه شيئا مما يتركنا أمام تيد الذي بقي صامتا بينما

نظراتنا تلتفت إليه و الذي فاجئنا منذ بدأت رحلتنا في هذا الجحيم بالمعلومات إلي يعرفها ...

" لا تنظروا إلي هكذا ! ... نعم سمعت الإسم قبلا ... أظن انه كان للأحد تجار الاعضاء الهاربين "

" إذا هذه إحدي صور العدالة في هذا المكان ! "

قلتها لتيد و الذي إبتسم ليجيبني

" نعم ... هذا المكان جحيم لكل المذنبين ... إنه ليس الجحيم الحقيقي النهائي ... بل يمكنك القول أنه مجرد معبر صغير يجب أن يمر من خلاله المذنبين ليذوقوا أشد العذاب من جنس أعمالهم قبل أن يعبروا لعذابهم الأخير ... الأبدي "

" أنت تعلم الكثير عن هذا المكان بالفعل ... و أذكر أنك قد تعرفت علي الشيء الذي إستخدمه سون تسو ليتسبب في كل ما حدث "

قالها كريم بينما ظلت سارا صامتة و كأنها تحاول تجنب الحديث لاحظت نظراتي إليها لتنظر بعيدا إلي الجثث مما زاد شكي بها لا أظن أنها تفضل مشهد الجثث المعلقة عن نظراتي إلا إن كانت تخفي شيئا يفسر إنهيارها السابق و محاولة إنتحارها و لكني تجاهلتها .. لأن مركز الإهتمام الآن هو تيد .. الذي قررت أن أسأله

" ألا تظن أنك يجب أن تخبرنا بكل ما تعلمه ... لا شك أن أي معلومة يمكن أن تساعدنا في موقفنا هذا "

ليجيبني بيأس

" أنت لم تفهم بعد أليس كذلك ... لو كان هناك أي شيء أعلمه يمكن أن يساعدنا هنا لم أكن لأصمت ... و لكن حتي تنزعوا الشك من قلوبكم فسأخبركم بما قرأته عنه ..

فمنذ سنين كنت مهووسا بالعلوم الدينية و الأساطير وما وراء الطبيعة وعلوم الشياطين ... ستذهلون من كمية الكتب الضخمة التي أحتفظ بها في مكتبتي ..

أظن أن هذا سبب عدم إقدامي علي الزواج إلي الآن ... فأنا أنفق كل نقودي علي الكتب ... فقط لا يمكنني التوقف عن تجميع ما يمكنني من معلومات ... و كأن رأسي متعطش دائما للمزيد و يريد إشباع شهوته و عطشه بمزيد و المزيد من العلوم و الكتب ...

لذا أظن انكم كنت علي حق حينما قلتم أنني مهووس ... هذه حقيقة لا جدال فيها ..

ولكني أندم الآن ... فحتي إن نجوت من هذا الجحيم لا أحد أعود إليه ... لا أحد ينتظرني .. فقط مئات الكتب الصماء ..

أتعلم يا كريم ... ربما أحسدك قليلا و لكن نأتي لقصة هذا المكان .. أذكر اني قرأتها في كتاب رحالة عربي يدعي إبن ديمون ...

كتب إبن ديمون هذا أن منذ قرون مضت ... عاش في الجحيم شيطان يسمي أزماريل ... شيطان ضعيف و لكنه كان يمتلك موقعا خاصا بين أقرانه بسبب قربه من والدهم ...

و لكن أزماريل لم يكن سعيدا بموقعه الخاص فقد كان يحلم بالهروب من الجحيم و لكن ليس إلي الأرض ... كان يحلم أن يصبح ملاكا يجوب السماوات بأجنحته العظيمه ..

ولكنه أدرك أن مثل هذه الأحلام ليست لأمثاله من الشياطين لذا كان عليه فعل شيء ... كان عليه الهروب من الجحيم لينفذ خطته "

" و ما هي خطته تلك ؟ "

سألته ليجيبني بإبتسامة قبل أن يكمل

" قتل كل البشر ... كإنتقام لعدم قدرته علي نيل ما يحلم به و قد إستطاع الهروب بالفعل و السعي لإنتقامه و لكن قيل أن الشياطين بطريقة ما طاردته و أسرته ...

فأن تقتل البشر ليست مشكلة و لكن أن تقتلهم لأجل رغبتك أن تصبح ملاكا هذه هي عين المشكله

فقد أذنب أزماريل من وجهة نظرهم حينما هرب لأجل هدفه ذاك و لهذا كلفوا أخبث شياطينهم بصنع سجن خاص من أجله سجن يعكس أعظم رغباته و ذنوبه و يجعل شيطانا مثلهم يعاني إلي الأبد و كان إسم هذا الشيطان هو بايمون ...

قيل أنه صمم هذا السجن بالفعل و هو ما نحن فيه الآن سجن يعكس أعمق رغبات و شهوات وذنوب المجرمين و يعذبهم بها "

" و لكنه علي حسب القصه قد صمم للشيطان أزماريل فقط أليس كذلك ؟ "

كان ذلك سؤال كريم وهو يحاول إستيعاب ما يسمعه من فم تيد قبل أن يجيبه الأخير

" هو كذلك ... و لكن كما قلت ... بايمون هو أخبث الشياطين ... لقد أبهره صنعه و سيطر علي عقله الفخر بما أنجزت يداه لذا قرر أن يضيف شيئا صغيرا ... العنصر البشري ..

صنع أحجية علي شكل هرم صغير بحجم اليدين ... بمجرد أن تفعلها تعمل الأحجية كبوابة لهذا السجن و تحول عالمك لهذا الكابوس و هذا الهرم هو Porta Inferni الذي إستخدمه سون تسو في هذا المبني ...

ذلك الغبي الذي ندفع ثمن أخطاءه الآن "

تنهدت قليلا قبل أن أسأله

" لقد تبعنا ما قاله لنا قبل موته و عبرنا الباب و في النهاية وجدنا أنفسنا في كابوس أخر ... ألا يوجد مخرج ؟ ... ألم تقرأ في كتبك تلك عن أي شيء قد يخرجنا من هنا "

ليجيبني

" لا ... لا شيء .. كل القصص المتعلقة بهذا المكان لم تذكر مخرجا أبدا ... و لكن .. أظن أن لدي نظرية "

هنا إلتفت له سارا بإنتباه واضح علي ملامحها قبل أن يسأله كريم

" و ما هي ؟ "

" الأحجية تعمل كبوابة لهذا المكان ... و ما وظيفة البوابة ؟ "

هنا حطمت سارا صمتها

" أنت مجنون ! ... هل تفكر بهذا جديا ؟ "

ليضحك قبل أن يجيبها

" لا أري حلا أخر هنا .. أم هناك فكرة أخري في رأسك الجميل ذاك "

جعلت كلمته الأخير مشاعري تثور لثوان قبل أن أكبحها لأسأله

" إذا أنت تقصد بما أن الأحجية بوابة فهي تؤدي للدخول و الخروج من هذا السجن في نفس الوقت أليس كذلك ؟ "

ليجيبني

" نعم ... و هذا يعني أن علينا الحصول عليها ... و الطريقة الوحيدة التي قالها سون تسو هي عن طريق التضحية بشخص ما و أنا لن أقتل أحدا لفعل ذلك "

" أظن أننا لن نحتاج لقتل أحد .. أنظروا .. خلف الجثث ! "

قالها لنا كريم و عينيه ثابتة علي شيء ما يختبي وراء الجثث المتراصة ... كانت هناك أحجية علي شكل هرم ذهبي مقلوب بحجم اليد بداخل كأس زجاجية ضخمة مملوءة بالماء الذي تغرق فيه الأحجية ... فوق طاولة مستديرة صغيرة تقع مباشرة في منتصف الغرفة و حولها الجثث المعلقة من كل إتجاه و كأنهم يحرسونها ..

" هذا المكان يسخر منا ! "

قالها تيد الذي لم تغادر عيناه الأحجية بذهول بينما إنعقد لساني فهذا الشيء لم يكن هناك منذ دقائق مضت لم يكن موجودا قبل حديثنا بشأنه و كأن هذا السجن يبحث في أعمق رغباتنا ليعبث بنا كقطع لعب صغيرة يقودها و يحركها كيفما يشاء ..

" أدركتم الآن كيف يعمل هذا المكان أليس كذلك ؟ "

قالها تيد ليجيبه كريم

" نعم ... يستغل رغباتنا الدفينه ليقودنا إلي هلاكنا "

و لكت تيد عاجله بكلماته

" أو مخرجنا ... أظن أنه لن يزيف شيئا كهذا ... ما ترونه أمامكم الآن يا سادة هو طريق الخروج من هذا الجحيم .. و لكن الحصول عليه لن يكون سهلا "

" بالطبع ... و لكن علينا التحرك الآن "

قلتها قبل أن أفكر قليلا فيما يجب علينا فعله ... لقد ضحي العديد من أجلنا كي نصل لهذه النقطة و لن أسمح لأحد بأن يضحي لأجلي مجددا إن كان هناك أحد ما سيسير بملء إرادته لهذا الفخ أمامنا فسيكون أنا ...

نظرت إليهم مطولا قبل أن ألتفت للأحجية و أسير إليها بخطوات متثاقلة متجاوزا الجثث بينما ينظر رفاقي إلي بخوف و قلق نظراتهم كانت تخترق روحي رغم عدم رؤيتي لها ...

لن أنظر للخلف .. هكذا قلت لنفسي ... لن أتراجع الآن .. هكذا أمرت قدماي بينما تتجاوزني صفوف الموتي و الجثث الفارغة لأقف أمام الطاولة و أري لون الأحجية الذهبي يلمع تحت صفحة الماء في ذلك الكأس الزجاجي الذي تتشكل سيقانه علي شكل شياطين صغيرة تحمله ..

رغم برودة المكان و التي إخترقت أوصالي إلا أن العرق قد وجد منفذا في جبيني ... أرفع رأسي لأنظر إليهم و أري عيونهم المعلقة بي و سارا و كيف تلمع عيونها ...

لم أدري هل هذه تخيلات أم عيونها تلمع حقا وهي تنظر لي الآن ... هل هذه اللمعة دليل علي شيء أو مشاعر دفينة أو مجرد وهم أعلق نفسي به للهروب من الرعب الذي أقف أمامه الآن ...

كل ما أدركه عقلي الآن كملجأ للهرب هو كيف أنها جميلة تحت الضوء الشاحب المهتز و لكن ما أذكره أنها جميلة دائما و أنا فقط أحاول الهروب من الواقع ..

تحركت حبات العرق و أخذت في التسارع عن جبيني و أنا أتأمل صفحة الماء أمامي في خوف و أتسائل

" يا تري ... أي كابوس يختبيء وراءك ؟ "

لكن الإجابة أتتني مسرعة حينما سقطت حبة عرق في الماء لتهتز طبقته العليا صانعة تموجات تهرب من المركز للخارج ليخترق أذني صوت سقوط شيء ما علي الأرض ..

إلتفت لرفاقي فوجدتهم ينظرون لإحدي الجثث و قد سقطت أرضا و بدأت الحشرات تتجمع حولها و تتغلغل في ثقوبها لتسدها و تبدأ الجثة في التحرك و كأن الحشرات من تقودها ...

لتحاول الجثة النهوض بصعوبة و تسقط مجددا قبل أن ترفع رأسها ناظرة لي ثم تلتفت لرفاقي و كأنها تختار بيننا ...

و لأكون صادقا تمنيت ألا تختارني و لا تقترب مني لا أعلم كيف أتمني شيئا كهذا و لكن أظن أنه صوت الخوف بداخلي هو من تملك عقلي و هو من يقرر ما سأفعله ..

لم تحاول الجثة الوقوف علي قدميها مجددا بل ألقت جسدها علي أطرافها الأربعة لتقف بشكل مفزع و مستحيل و كأنها حشرة ضخمة ... نظرت لرفاقي الذين رفعوا أسلحتهم في مواجهتها و بدأت بالركض في إتجاههم ..
شعرت بضربات قلبي تهدأ لثوان حينما أدركت أنها لا تستهدفني و لكن عقلي إستعاد سيطرته من الخوف لأدرك أني لا أضحي بحياتي الآن بل أنا أضحي بهم ..
إقتربت الجثة منهم بسرعة خاطفة لتخترقها رصاصات بنادقهم الألية ... كانوا علي وشك التراجع للخلف و لكن تيد لا يستطيع الحركة وحده لذا ثبتوا مكانهم بينما يطلقون النار عليها للتتمزق بفعل الرصاص و تتساقط الحشرات داخلها علي الأرض و تتفرق في فزع ... فتسقط الجثة في النهاية ..
نظروا إلي مجددا ليجدونني أقف مكاني ثابتا بلا حركة مترددا فيما يجب علي فعله فيشير لي كريم برأسه قائلا أن علي البدء الآن ... و لكن لماذا ! ... لماذا حينما أتقدم أخيرا لأضحي من أجلهم أجدهم هم من يضحون لأجلي ؟ ...
لماذا حينما أجد فرصة أخيرا لأغفر ذنبي و أمسح الدماء عن يداي ينقلب كل شيء في اللحظة الأخيرة و أجدها مغموسة بدم رفاقي هذه المرة ..
هل علي أن أمضي فعلا و حياتهم أمامي علي المحك ؟ هل أضع حياتهم علي كفة الميزان بين موتهم و بين خروجنا من هنا ؟ و لكن إذا فشلت ... فسأفقدهم للأبد و لن يفيدني الخروج ..
بل الموت هنا أهون عندي من فقدان من تبقي لي ... أهون من الغرق في ذنب لا ينتهي سيقتلني بمرور الوقت ...

" سامي ! "
إخترق صوته غياهب عقلي لأنظر إليه ... كريم كان يقف هناك يراقبني .. لقد أدرك ما أمر به .. أدرك ذلك الوحش الذي يجثم علي صدري ...
" لن يحدث لنا شيء ... هيا أحضر تلك الأحجية و دعنا نخرج من هنا ... معا ! "
دائما كنت أتسائل لماذا هو صديقي ... هل لأنه يحميني ؟ ، يرعاني ؟ ، يحبني ؟ ... أم فقط لأنه يفهمني و يفهم ما يدور بداخلي قبل أن أدركه حتي ..
لاحظت نظرات تيد الغاضبة
" هيا .. أنا مصاب و لا أمتلك اليوم بطوله ؟ .. هل ستفعلها أم أرسل الفتاة ؟ "
و سارا ... لم تغادر اللمعة عيونها الخائفة ... إنهم جميعا هنا مثلي تماما ... مستعدون لتحمل نتيجة إختياراتهم كما سأتحمل نتيجة خياري الآن ...
عدت بنظري الي الكأس و تركت سلاحي .. رفعت يدي اليمني ثم دفعتها داخلها لتدمر سكون الماء و تبدأ أمواجه المفزعه بالتسارع حول يدي بإتجاه جدران الكأس بينما قد أمسكت الأحجية بين أصابعي ...
تتابع صوت سقوط الجثث حولي و كأنه لا ينتهي ... عشرات الجثث سقطت أرضا ليبدأ أزيز الحشرات التي تتجمع من فوق الجدران و علي السقف و تتحرك من بين أرجلنا و من أسفل منا متجهة للجثث ..
آلاف الحشرات إخترقت كتل اللحم الساكنة لتمنحها الحركة و تبدأ الجثث في النهوض علي قوائمها الأربعة متسارعة في إتجاه رفاقي أمام عيني و رصاصاتهم لم تسكن و أخذت تمزق الجثث لتتكوم فوق بعضها البعض

عدت بنظري للأحجية بين أصابعي و قد أمسكتها لأنتزعها من بين براثن الماء بينما الجثث تضيق الخناق أكثر فأكثر حول رفاقي ..

حملت الأحجية بيد و سلاحي بيدي الأخري و بدأت بإطلاق النار عليهم من الخلف بينما أصرخ

" كريم ! ... الباب خلفك إفتحه بسرعة ! "

إلتفت للباب و أمسك بمقبضه بينما سارا تساعد تيد علي الوقوف مستندا علي كتفها و أنا أركض بإتجاههم متجاوزا الجثث الساقطة تحت قدمي و التي لا تزال تصارع للوصول لهم من حولي ..

دفع كريم الباب ليخرج منه وهو يستمر في إطلاق النار و سارا دفعت تيد لتلقي به خارجا لتتبعه و يصبحوا جميعا بالخارج .. نظرت حولي و الجثث لا تزال تتطاردهم لذا أخذت قراري ... هذه هي تضحيتي ... حان الوقت لأحميهم ...

و قذفت الأحجية بإتجاههم لتلتقطها سارا بينما تلتفت لي الجثث فجأة و تمسكني من قدمي فأسقط أرضا و يستولي الظلام علي عالمي ...

الفصل التاسع

في الظلام تعتقد أن الوجود قد تخلي عنك و أن الحياة قد هربت منك ، في الظلام تختبيء الوحوش و الكوابيس و في الظلام تفقد إدراكك للوجود... شعرت بالجثث تتكوم فوقي و بالحشرات الصغيرة وهي تخترق ملابسي و تسير بأقدامها الهشة الدقيقة فوق مسام جلدي .. شعرت بأنفاسي تقل تدريجياً تزامنا مع دقات قلبي و شعرت بجسدي يدفن حيا تحت عشرات الموتي ...

هل مت ؟ ... هل غادرت الحياة جسدي ؟ .. سألت نفسي ولم أستطع الإجابة فرغم الظلام الذي إستولي علي عالمي إلا ان إحساسي بما حولي لم يغادرني بعد ... مرت ثوان كأنها قرون و هذا ما يحدث حينما تقترب من الموت ...

إن مت الآن فلن أندم علي شيء ... لقد دفعت ثمن ذنوبي و ضحيت لأجل من أحب .. و إن عدت للحياة فسأعود لرحلتي التي لا تنتهي للبحث عن ثمن أدفع به عن ذنوبي حتي تتركني ...

لذا أرجوكم ... أتركوني لأموت ... دعوني لألقي حتفي هنا أخيرا و أستريح من العذاب الذي يطاردني ... لم أحتمل أن أري تلك الاشباح المعذبة كل يوم و تجاهلت وجودهم لأتخلي عنهم في النهاية ..

قتلت بيدي الأبرياء ... و دماء أصدقائي تغطي قدمي ... لذا أرجوكم دعوني أمت الآن ...

لكن الإجابة أتتني في النهاية ... مع صوت الطلقات الي إخترقت أجساد الموتي فوقي ، تساقطوا حولي وهم يتمزقون بفعل السيل الذي لا ينتهي ..

" هيا ... قم الآن .. تحرك ! "

إخترق صوته الظلام ... كريم .. لماذا دائما عليك أن تكون بطلا لماذا دائما تنقذني .. هل من الصعب عليك أن تتركني أذهب ؟ .. ألا يمكنك أن تدعني لمصيري ؟ .. لن أسامحك .. لن أسامحك إذا أنقذتني ..

شعرت بيده تمسك بكتفي .. إبتعدت جفوني لتسمح للضوء بغزو محطي مجددا .. رأيت وجهه أمامي و عيونه التي تتساقط منها الدموع و هو يشد جسدي كي يدفعني علي الوقوف ...

أنا أردت الموت و لكن جسدي لم يطيعني لأجد نفسي قد وقفت بجاوره وهو يستمر بإطلاق النار بينما أصرخ به

" لماذا ! ... لماذا لم تدعني أمت ؟ "

ليصرخ بي و عينيه مثبتتين علي العدو أمامه

" لا وقت لهذا الهراء ... هيا لنخرج من هنا "

ليدفعني بيده خارج الغرفة و يتبعني وبمجرد أن خطا خارجها صرخ

" سارا ... أغلقيه الآن ! "

لتدفع سارا الباب خلفنا مباشرة و تغلقه و تصمت أصوات الجثث خلفه كأنها لم تكن قط ..

تمالكت جسدي بينما ألتقط أنفاسي الهاربة ... أقف علي ساقي و أمسك بتلابيبه و أدفعه للجدار بينما أصرخ

" أيها الغبي ! ... لماذا خاطرت لإنقاذي ؟ .. كان يمكن أن تقتل كان عليكم إستخدام الأحجية للخروج من هنا "

ليرفع ذراعيه و يمسك بيدي و ينزلها بينما عينيه تخترق عيناي

" أعلم أنك تريد الموت ولكن ... طالما هنالك فرصة ولو ضئيلة لإنقاذك سأستغلها و لن أتركك خلفي ... إذا ربما عليك إختصار الوقت و إطلاق النار علي رأسك الآن ... و لكن فلتعلم ذلك ... إن حاولت فعلها ... سأكسر يدك ... لن أسمح لك بالموت .. خصوصا هنا في هذا المكان "

لن يتركني أغادر أبدا .. هكذا كان و هكذا هو .. هكذا بليت به .. إنهار جسدي بينما أتراجع للخلف في يأس وعقلي لا يجد كلمات ليقولها أمامه ... هل أنا أستحقه حقا ؟ .. أنا لا أذكر أني ضحيت يوما لأجله .. لا أذكر أني فضلته يوما علي نفسي .. إذا لماذا يفعل بي ما يفعله ..

" لأنك صديقي ... هذا إن كان عقلك يبحث عن إجابة الآن "

قالها لي و كأنه يعلم ما يجول بداخلي .. فأسأله سؤال داخل نفسي و لا أبوح به قط ..

" هل أنت بشر ؟ "

و لكني أعلم جيدا أنني لن أعرف أبدا ... مددت يدي لتيد الملقى أرضا لأجعله يقف مستندا علي كتفي بينما أنظر لكريم و سارا

" علينا المتابعة ... حان وقت الخروج من هنا "

تقدمت سارا حاملة الأحجية بيديها الإثنتين بحذر ... كانت علي شكل هرم مقلوب مع نقوش و كلمات غير مفهومة علي جوانبه الثلاثة و جملة واحدة كتبت عليه بالمقلوب أيضا تقول

"للجحيم تذهب .. و إليه تعود ... لا مهرب لكم الآن من هنا "
و كأنها ظهرت عليها لتجيب علي كل أسألتنا و تقطع كل خيوط الأمل لدينا ..فنصمت جميعا ونحن نرمق بعضنا البعض بنظرات اليأس و يخترق صوت تيد الصمت
" لا ... لابد أنها مخرجنا .. إنها فقط جملة لإخافتنا و جعلنا نيأس علينا فقط معرفة كيف نستخدم .."
قطع كلماته صوت إطلاق النار خلفنا لنلتفت فنجدها تلك الفتاة مجددا و كأنها كانت تنتظرنا هنا منذ دخلنا إلي الغرفة و جثة القائد تتحرك أمامها كالدمية يصوب علينا بسلاحه و يستعد ليضغط علي الزناد مجددا
" علينا مواصلة الركض ! "
صرخت بهم بينما بدأنا بالركض و أنا أحاول دفع تيد معي و لكنه لا يقوي علي الضغط فوق قدمه ... إلتفت إليها و كريم يحاول إطلاق النار عليها لتعطيلها قليلا و لكني صرخت به
" لا تحاول أن تكون بطلا و أركض ! "
بينما إنطلقت رصاصاته و لم نعلم هل فعلت بها شيئا أم لا و لكن صوت صراخها و خطواتها خلفنا إستمر دون توقف ليخبرنا أن أملنا الوحيد هو بالهروب فقط ..
و لكن الأمل بالهروب قد إنتزع من قلوبنا حينما شعرت بالألم يخترق كتفي لأري الدماء وهي تسيل من الثقب الذي صنعته الرصاصة بداخله ولكن ما أسر عيني لم تكن إصابتي بل جسد تيد الذي سقط مني علي الأرض علي وجهه ...

" تيد ... سقط ! "

توقفت لثوان بينما أرمق جسده بنظراتي وأنا أصرخ

" علينا إنقاذه ! "

لكن شعرت بيد كريم تمسك بذراعي وهو يصرخ في

" لقد فات الأوان .. ألا تري الرصاص و قد إخترق كامل ظهره "

لقد كان علي حق ... تحولت الدماء حوله لبركة تتسع تدريجيا و ذلك الكابوس يقترب منا..

ركضنا لدقائق وأنا أحاول مقاومة الألم دخل كتفي .. نظرت خلفي لأجد الفتاة قد عثرت علي دمية أخري تلهو بها وهي تطاردنا .. جثة تيد قد تحولت في النهاية إلي دميتها ...

" لا يمكننا الإستمرار في الركض .. ستحولنا الي دمي في النهاية فلندخل أي شقة الآن ... أي كابوس أخر خلف أي باب سيكون أخف من هذا الوضع "

لم يعترض أحد .. فقط دفع كريم بكتفه أقرب باب إليه لنتبعه إلي الداخل و نغلقه خلفنا ... لم نمتلك الوقت لإلتقطات أنفاسنا فقد كانت في إنتظارنا بالداخل ..

تقف أمامنا في صمت تحت الضوء الشاحب و تمسك سكينا بيدها المحترقة وسط شقة خاوية علي عروشها إلا منا و منها ..

لم أدري هل يرونها كما أرها و لكن لم أمتلك الوقت للإجابة فقد طعنت وجهها بالسكين مكان فمها لتصنع شقا بدا كأنه فم جديد ...

لتصرخ بصوت يصم الأذان ... نضع أيدينا علي أذاننا محاولين منع الصوت بيأس و لكنه يخترق أدمغتنا و يحطم المتبقي من الوعي داخل عقولنا ...

رأيتهم يسقطون أمامي فاقدين الوعي وأنا احاول مناداتهم

" كريم ... سارا ! "

و لكن لم تمضي الثوان لألحق بهم و أسقط أرضا غارقا مجددا في الظلام

الفصل العاشر

شعرت بحرارة الشمس تلفح وجهي و بأصوات البشر حولي تخترق الظلام لترسم محيطا في مخيلتي .. إستطعت سماع عشرات الناس يتحدثون ربما أحاديثهم متداخلة و لكنها دليل علي أنني لازلت حيا ..

صارعهم في محيطي المظلم أصوات بوق السيارات يتنافسون أيهم أحق بالطريق ... لم تمر دقائق حتي قررت أن أفتح عيني و أزيح جفوني لتكشف لي ماهية العالم الذي أصبحت فيه

إخترق ضوء الشمس عيني مانعا عني الرؤية لثوان قبل أن تعتاده مقلتاي لأجد نفسي أقف في منتصف طريق مزدحم بالمارة بين مبان رمادية تتزاحم و كأنها تتقاتل للإحتفاظ بمكانها ... و في الأفق يمتد برج أبيض ضخم .. ظننت أنني رأيته قبلا .. هذا برج القاهرة رأيته في صور جدتي ..

" هل خرجت من الجحيم ؟ "

سألت نفسي بينما أتأمل وجوه الناس حولي ... وجوه بائسة تسير بخطوات مسرعة تتحرك كخلية نحل تمتد لنهاية البصر و لا أحد منهم يهتم بذلك الرجل المسلح الذي يقف وسط طريقهم ..

" و لكن أين كريم و سارا ؟ "

لم أجدهم ... جلت بعيني وسط الوجوه بفزع ... نظرت حولي في كل إتجاه و لكن لا أثر لهم .. أنا فقط هنا ..

" كارمن ! ... هيا تعالي أنا هنا "

إخترق ذلك الصوت أذني .. ذلك الإسم أنا أعرفه جيدا .. نظرت حولي بحثا عن مصدر الصوت .. كارمن ... كارمن نعم .. هي أخر شخص رأيته قبل أن أتي لهنا .. يجب أن أعثر عليها

" كارمن ! ... هيا لا تلعبي مع الأطفال "

قالها رجل عجوز ممتليء البطن يجلس علي كرسي خشبي أمام أحد المحال علي جانبي الطريق ... إقتربت منه بخطوات حذره كانت ملامحه تحمل نبلا غريبا ورائها .. يرتدي نظارة مع شعر خفيف قد بدأ بالتساقط من رأسه .

ينظر للجهة المقابلة من الطريق و ينادي

" كارمن ... هيا .. أريدك أن تقفي في المحل إلي أن أدخل الحمام "

لتجيبه فتاة كانت تلعب مع بعض الأطفال الذين بدو من ثيابهم و مظهرهم أنهم مشردون ... ودعتهم الفتاة قبل أن تتركهم لتقترب من الرجل بينما أقف بجواره ولا ينتبه أحد منهم لوجودي .

كانت جميلة بحق .. تمتلك عينين بنيتين براقتين وبشرة صافية بيضاء مع خصلات شعر سوداء تمتد لكتفها و تحافظ علي إبتسامة حنون علي وجهها .

" لقد جئت .. هيا إذهب الآن و سأحرس لك المحل "

قالتها بينما تحافظ علي إبتسامتها تلك قبل أن يحدثها العجوز بينما يقوم من علي الكرسي

" هؤلاء الأطفال يعودون هنا كل يوم لينتظروك ... أنا حقا لا أفهم من أين جئتي بهذه الطيبه "

لتضحك ببراءة قبل أن تجيبه

" كيف لا تفهم ... منك بالطبع يا أبي ... هل نسيت كيف كنت ترعي الأطفال المشردين في شبابك .. أخبرتني أمي كل شيء عنك و كم كنت شاباً حنوناً طيب القلب و يؤلمك ان تري طفلا مشردا يهيم في الشوارع ... فكنت تأتي به لمحل والدك و تلهوا معه قبل أن تعطيه بعض النقود و تدعه يغادر ... لذا أؤكد لك لقد حصلت عليها منك "

ليبتسم العجوز

" غلبتني ... حسنا إذا سأذهب لقضاء حاجتي ثم أعود "

" سأنتظر .."

و لكن كلمتها لم تكتمل أبدا .. فقد إخترق السماء صوت هدير الطائرة الحربية الضخمه التي شقت عباب السماء لينظر كل من في الشارع إلي فوق .. يراقبون الطائرة الضخمه السوداء و المحمية بطائرات مرافقة و هي تتجه صوب برج القاهرة ..

كانت تعابير الحيرة و الخوف هي من غزت وجوههم .. لم يفهموا ما يحدث لم لم يستوعبوا أن نهايتهم قد حانت و قد قررها قادة العالم بضغطة زر لتحصد القنبلة أرواحهم ..

علمت ما الذي يحدث لأني قرأت عنه من قبل .. قذف القاهرة بالقنبلة الهيدروجينية .. إنها تجعلني أحيا أخر لحظات حياتها و لكن لماذا ؟ ... ما الذي تريده مني ؟ ..

لم أعبأ بإجابة السؤال فمشهد الطائرة و هي تحوم فوقنا لتقترب من البرج أمامنا قد سرق لبي معهم .... إتسعت عيناي حينما رأيتها تسقط ... قذيفة

سوداء اللون سقطت فوق برج القاهرة مباشرة .. لم يمتلكوا الوقت للهروب بل لم يمتلكوه ليدركوا ما يحدث ..
إصطدمت القنبلة بالبرج لتتحول لسطوع أبيض أعمي عيني ... شعرت بالضغط وهو يقذف كل شيء حولي لأميال .. تطايرت المباني و معها أجساد البشر لتختفي من الوجود .. إخترق جسدي الألم بينما يتطاير معهم ..

تبعت الحرارة المهولة الضغط مباشرة لتحرق كل شيء ..
و بالرغم أنني أشاهد فقط إلا أنني أحسست بكل ذرة ألم إنتابت جسدي .. كنت أصرخ من الحرارة التي إخترقت جلدي و لحمي لتصل إلي عظامي .. شعرت و كأنني أذوب ..
و لكن .. كانت هذه الموجة الاولي فقط ..فالقوة التدميرية التالية للقنبلة قد محت كل شيء من الوجود...
كنت ملقى علي وجهي .. لا أدري أين أنا و قد إختفي الألم ... نظرت حولي لأجد كل شيء قد إختفي .. تحول لغبار ...أميال من الغبار و الدمار علي مد البصر .. خراب لا ينتهي و موت أعلن إنتصاره في ذلك اليوم المشئوم..
شعرت بالحزن .. الألم و الغضب .. بكيت و صرخت بكل قوتي
" يا إلهي .. كيف لبشري أن يصنع هذا الجحيم ! "
إخترقت أصوات الأنين مسامعي لأنظر حولي ... أياد تخرج من تحت الغبار .. أجساد محترقة تخرج من باطن الارض و أنينها يصم الاذان .. يبكون و يصرخون بينما يحاولون الوقوف علي سيقانهم المحترقة .. لم أفهم ما هم .. من هؤلاء ؟ ..

" إنهم نحن "

عرفت صوتها ... نظرت خلفي لأجدها تقف و قد إختفي جمالها إحترق مع كل شيء .. تحول لغبار ..أصبحت مجرد جسد محترق يقف أمامي بلا ملامح ..

" و لكن كيف ؟ "

لتقترب مني بخطوات بطيئة متألمة تحاول ألا تسقط بينما تجيبني

" لقد متنا و نحن لا ندري ... متنا و نحن نتألم .. نتعذب .. نصرخ و نبكي .. و سنبقي هكذا للأبد "

تلفت حولي لأراهم يهيمون في كل مكان .. يبحثون عن راحة إفتقدوها في حياتهم و لكن موتهم كان أشد ألما ..

" ولكن لماذا ؟ "

"لأن قاتلنا لم يعاقب بعد ... محرقنا لم يعاني مثلنا .. معذبنا لا زال ينعم بحياته "

" و لكن لماذا أنا ؟ .. لماذا تجعلينني أري هذا الكابوس ؟ .. لماذا تصرين علي جعلى أعاني .. لست أنا من فعل بكم هذا "

" و لكنك من وصل إليه صوتنا .. أنت الوحيد الذي رآنا و شعر بنا أنت فقط من يمكنك أن تفهم .. و لكن .. و لكنك أثرت الهرب "

بدأت كلماتي بالإهتزاز و تنامي شعور الخوف داخلي

" تقصدين حينما تجاهلت وجودكم ؟ "

لتجيبني بغضب

" نعم ... لقد فضلت الهرب منا علي مساعدتنا .. و الأن جميعهم يمقتك .. و كلهم يحقدون عليك ... و هم الأن غاضبون و عليك دفع الثمن "

لم أجبها .. فقط نظرت حولي في رعب لأجدهم يتجمعون .. يحاصرونني من كل إتجاه ... يصرخون و يقتربون أكثر فأكثر بينما يمدون أيديهم المحترقة ليمسكوا بي

" سأسمح لك بأن تسبقهم ... أهرب .. أهرب الآن ولا تنظر ورائك "

لم أنتظر .. نظرت أمامي لنهاية الأفق و بدأت بالركض .. خطواتهم خلفي لم تهدأ .. أصواتهم الغاضبة تسبقهم إلي و هم الآن يريدون مني دفع الثمن.. ركضت بلا هدي أو هدف .. خائف و الرعب يحرك أطرافي للمجهول .... صوتها لا يزال يحدثني في رأسي

" لقد شعرت بألامنا الآن ... رأيت كيف سلبت منا الحياة ونحن لا ندري .. هل تهرب منا مجددا ؟ "

صرخت بها بينما أنفاسي تحاول الإستمرار قبل أن تنهار قدماي

" ما الذي تريدونه مني ؟ ... أنا لم أقتلكم .. أنا لم أحرقكم أو أعذبكم .. لقد شعرت بكم و لكن .. ما الذي بيدي و أستطيع فعله ... لا شيء ...لا يمكنني فعل شيء "

" ربما لم يكن يمكنك فعل شيء ... و لكنك كنت رفيقنا الوحيد ... مختارنا الذي يشعرنا بالأمان .. أننا لسنا وحدنا .. أن في يوم ما سنستريح "

" من قال أنني لست نادما علي ذلك ... في كل مرة أراك و أنظر فيها بعيدا كنت أتألم في داخلي ..تقتلني قلة الحيلة و يلتهمني اليأس .. كم من مرة أردت

مساعدتكم .. كم من مرة دعوت الله أن يرشدني إلي الطريق لأخلصكم من العذاب ... و لكن .. كان علي الإستسلام "

" كما إستسلمت الآن ؟ "

حطم سؤالها كل شيء جدران عقلي ... توقفت ... سألت نفسي

" ما الذي أفعله .. لماذا اتخلي عنهم مجددا ؟ ... هل حقا لم يعطيني الله الحل ؟ "

أدركت ما قد ضاع بداخلي .... لقد كان خطأي .. انا من أستسلمت منذ البداية .. أنا تخليت عنهم و ها أنا أهرب منهم مجددا ..

إلتفت إليهم لأري آلاف الموتي التي تركض بإتجاهي لا يوقفها شيء .. إنهم غاضبون و حاقدون .. الحزن و الألم حطم المتبقي من أرواحهم و لم يبقى سواه داخلهم ..

لذا علي الوقوف .. علي مواجهتهم و مساعدتهم ...

توقفوا فجأة .. كل منهم توقف في مكانه .. إخترقت صفوفهم بخطوات متثاقلة تحمل شيئا مضيئا بين يديها .. إقتربت مني لتقف أمامي و تنظر إلي بعينيها المحترقتين

" هذا لك ... سيرشدك للطريق الذي ستساعدنا به... سأريك كيف تستخدمه ... إذهب و أنقذ أصدقائك "

نظرت للشيء التي تعطيني إياه لتتسع عيناي في ذهول .. لقد كانت الأحجية بين يديها .. تتحرك لتتحول لهرم منتظم لتريني كيف أحل الأحجية و أصل لطريق الخروج ...

أمسكته بين يدي بينما يزداد بريقا يغطي كل شيء حولي .. لمحت عيناها و قد عادت كما كانت لثوان ..عينان بنية براقة مع دمعة هربت منها لتسيل علي وجهها المحترق بينما تقول

" شكرا لك "

ليغلف الضوء كل شيء حولي و يخفيه خلفه كستار لا ينتهي من اللون الأبيض ..

" سامي .. سامي إستيقظ "

إخترق صوتها أذناي ... لتتحرك جفوني فيتخللها الضوء الشاحب مجددا معلنا عودتي .. وجدت نفسي بين ذراعي سارا و الدموع تسقط من عينيها علي وجهي ...

الفصل الحادي عشر

" ما ... ما الذي حدث ؟ "

خرجت الكلمات من فمي أثناء محاولة عقلي فهم ما حدث قبل إنتقالي لماضي كارمن و لكن سبقت سارا الإجابة لتعانقني بكل قوتها و تضم جسدي إلي جسدها فيتخلل دفئها كياني و تنفجر المشاعر داخلي لأنسي كل الأهوال التي مرت و لا أتذكر سوا حبي لها

" و لكن .. و لكن كيف ؟ "

قلتها و رأسي محاصر بين ذراعيها بينما كريم يجلس خلفها محافظا علي إبتسامة رضا لأفهم ما حدث .. لقد قال لها كل شيء عن مشاعري .. بالتأكيد فعل ذلك و لهذا سأقتله حينما نخرج من هنا و سأعذبه قبل أن أقتله ... لاحظ نظراتي إليه ليتحدث

" لقد كانت تعلم كل شيء ... في الواقع هي من أخبرتي عن مشاعرها حينما فقدت الوعي و ظننا أننا فقدناك ... ضمدت جرحك و بقيت بقربك إلي أن أفقت الآن ... من الجيد أن هذه الشقة فارغة ولا تحوي أي وحوش بشعة مختبئة "

" مشاعرها ؟ "

قلتها و الحيرة قد غزت عقلي لأرجع للخلف و أنا انظر لها بغرابة لتبتسم و عيناها تلمعان قبل أن تجيبني

" لم تكن تعلم أليس كذلك ؟ ... كنت أستطيع رؤية نظراتك إلي .. و كنت أشعر بالتوتر في كلماتك حينما تتحدث معي .. أحسست بمشاعرك منذ

فترة طويلة و كنت أبادلك إياها من فترة أقصر و لكن ... كنت أنتظر ان تتخذ خطوتك .. و لكن يبدو أنني من إتخذتها "

لكلماتها وقع عميق داخلي .. لم أدري ما الذي علي قوله بل الكلمات كانت تهرب من رأسي مهما حاولت إصطيادها لقد حدث ما تمنيته منذ وقت طويل و علمت محبوبتي بمشاعري بل و كانت تبادلني هذه المشاعر .. إذا لماذا يتثاقل لساني ؟ .. لماذا لا أستطيع التعبير عما بداخلي الآن ..

إستجمعت رباطة جأشي و بدأت بمصارعة حيرتي لأمسك بالكلمات علي طرف لساني و أقول

" لقد علمت كيف أستخدم الأحجية .. يمكننا الخروج من هنا الآن "

يا إلهي لماذا ؟ .. لماذا تجاهلت ما قيل لأهرب من الموقف بهذه الطريقة المثيرة للشفقة .. هل أنا خائف ؟ أم لأن هذا الكابوس لم ينتهي بعد

" هذا صحيح .. علينا الخروج من هنا أولا "

قالها كريم كمن يحاول إنقاذي من الموقف أمام سارا لتتبعه بكلماتها

" و لكن كيف علمت طريقة إستخدامها ؟ "

" ساعدتني كارمن "

قلتها بينما إقتربا مني ليجلسا بجواري بينما أحرك أجزاء الأحجية بأصابعي لأعدل من شكل الهرم المقلوب فيصبح هرما قائما و منتظم الشكل ... إتسعت أعيننا بينما يتسلل من بين ثناياه الضوء الابيض فيغلف كل شيء حولنا و نفقد قدرتنا علي الرؤية من قوة الضوء ..

مضت ثوان فقط قبل أن يبدأ الضوء بالخفوت مجددا و التحلل سامحا لتفاصيل عالمنا الجديد بالظهور حولنا .. إمتص الهرم كل الضوء بداخله قبل أن يختفي من بين يدي بينما أحاول إمساك الهواء مكانه ..

" أين نحن ؟ "

قالها كريم وهو يتأكد مما حوله بينما يقف علي قدماه و يمد إلي يده لأجيبه بينما أتبعه

" لا أدري .. و لكن .. يبدو أن هذا الجحيم لم ينتهي بعد "

إلتفتنا الي سارا القابعة خلفنا و التي تحولت نظرات عينيها لرعب كامن يسكن مقلتيها بينما تتأمل الجدران والتي تحولت من جدران إسمنتية إلي جردان حجرية تتكون من حجارة ضخمة ...

كنا نقف وسط ممر طويل شبه مظلم و مصدر الضوء الوحيد هو مشاعل تحترق وضعت علي جانبي الجدران .. كان المشهد أقرب الي ممر من ممرات إحدي قلاع العصور الوسطي ..

" ظننت أن الأمر قد إنتهي ؟ .. ظننت أنني قد هربت أخيرا ؟ "

صرخت سارا بهيستيريا وهي تصدم يدها اليمني بالجدار و جسدها يحاول التشبث بقدميها ..

تبادلنا أنا و كريم نظراتنا الحائرة ..إقتربت منها لأضع يدي علي كتفها محاولاً تهدأتها

" لا تقلقي .. لا زلنا معا و بالتأكيد سنعثر علي طريق أخر للخروج "

لتلتفت إلي و تلقي بيدي بعيدا عن جسدها بينما تصرخ و الدموع قد ملأت عينيها و إنسابت علي وجنتيها

" أنتم لا تفهمون شيئا ... لقد دخلنا قلعتهم الآن .. و هنا لا مهرب و لا مخرج لنا و الآن علي إتمام العهد بيني و بينه "

" أي عهد ؟! "

خرج السؤال من فمي تلقائيا و قد سيطرت الحيرة و الخوف علي عقلي مستعيدا كل ما ممرنا به من أهوال و متذكرا شعوري بانها كانت تخفي عنا شيئا منذ البداية ..

تحولت نظراتها الخائفة الي اليأس قبل أن تجيبني

" أنا أسفة ! "

لم أفهم لماذا تعتذر و لكن الرعب الذي إخترق صدري ليمسك بقلبي بين فكيه بينما أري ذلك الجسد يتشكل علي أحد الجدران و كأنه يخرج من بين ثنايا الصخور خلفها جعل أطرافي ترتعد ..

بدأت ملامح الجسد تتشكل و تتضح شيئا فشيئا و نحن ننظر جميعا إليه وهو ينتزع نفسه ليقف أمامنا .. رجل شاحب طويل ..كان يرتدي زيا جلديا أسود اللون تماما عيناه سوداوتان كالليل و شعره أشقر الطويل منسدل إلي أقدامه ..

قبضنا علي أسلحتنا أنا و كريم بينما سارا تتبادل معه النظرات كأنها تعرفت عليه .. تأملا بعضهما البعض لثوان قبل أن تتحرك شفتاه و تخرج الكلمات بصوت عميق مخيف

" لم تتغيري كثيرا ... أيتها الأميرة "

لم ألاحظ تغير ملامحها .. فقد تحول وجهها من البكاء للحزم و من الخوف للقسوة .. لم أتعرف عليها و هي تقف أمامه فقد كانت أعينها تخترق ذلك

المسخ بنظرات غضب و مقت .. شعرت بالشفقة إتجاهه و شعرت بالخوف من الشخص الذي يقف أمامي فهذه لم تكن سارا التي أعرفها ...

أجابته بصوت هرب المقت من بين ثناياه

" و أنت كما أنت يا كالوم "

ليجيبها بصوت خيبث

" يشرفني أنني لم أتغير في عيون أميرتي ... العرافة في الإنتظار "

" حسنا إذا .. دعنا ندخل "

قالتها له بلهجة آمره و نحن لا نفهم شيئا مما يحدث حولنا و لكن أيا كان ما يحدث لنا منذ البداية فهو بالتأكد كان يتمحور حول سارا لذلك حاولت الإنتحار من قبل ..

سمع ذلك المسخ كالوم أمرها ليشير بيده للجدار خلفه لتتشق الصخور و يبدأ بالتصدع الي شقين يبتعد كل منهما عن الأخر مفسحين عن ممر قصير مظلم يؤدي غرفة في نهايته ..

تقدمنا المسخ بخطوات بطيئة بينما نظرت إلينا سارا مشيرة لنا كي نتبعها خلف المسخ لنتحرك خلفها بحذر قابضين علي أسلحتنا بخوف و حبات العرق تنسل من جبهاتنا ..

عبرنا الممر إلي غرفة واسعة مليئة بالجماجم و العظام و أشياء غريبة لم أدر ما كنهها في كل جانب من جوانبها و تتوسطها طاولة مستديرة تقبع في منتصفها كرة بلورية ..

أسرتني الغرفة لثوان قبل أن تأخذ إنتباهي تلك المرأة الشابة التي تجلس في الجانب الأخر من الطاولة و ترمقنا بنظرات خبيثة تحمل في طياتها الكثير ..

و لكن ملامحها الجميلة و شعرها الأحمر قد أخفي هذه النظرات ببراعة لتأسر عيوننا بينما تقول بصوتها الناعم

" أميرتي .. وضيوفها .. أهلا بكم في منزل العرافة ... أرجوكم إهدئوا و ضعوا أسلحتكم المثيرة للشفقة جانبا .. فأنا لست عدوتكم "

لم نشعر بالإطمئنان إليها قط و لكن نظرة سارا إلينا جعلتنا نخفض الاسلحة و ننتظر حتي تتشكف لنا الحقيقة ..

بدأت سارا بالحديث بغضب للعرافة

" أخبرتني أنني أستطيع الهروب ... قلت أنها ستكون مرة واحده و للأبد و لن يستطيع شيء ما إعادتي لهذا الجحيم "

إبتسمت العرافة قبل أن تجيبها

" بالفعل أخبرتك بكل ما قلت و لكني أخبرتك أيضا أن عليكي تنفيذ عهدك مع سيدنا بايمون و لكن مما أري يبدو أن الحياة علي الجانب الأخر أخذتك"

أكملت بينما ترمقنا بعينيها

" و لا يمكنني لومك علي هذا .. فمن منا لا يمقت هذا الجحيم الذي نسكنه و يشتاق للعودة لضوء الحياة .. و يشتاق للشعور بحرارة الشمس و هي تداعب جلده مجددا ... و لكن يا فتاتي هذا مسيرنا الأبدي الآن .. أخبرتك أن لديك فرصة واحدة و قد أهدرتها حينما لم تعودي تمتلكين الجرأة "

كلماتهم كانت تتصارع في عقلي الذي يحاول معالجة كل ما يستمع إليه عله يعثر علي إجابة ما يحدث و لكن بلا فائده .. نظرت إلي سارا لأجد اليأس قد تمكن منها و بدا أنها لا تستطيع العثور علي كلمات تقولها للعرافة أمامها .. لذا قررت إنتهاز الصمت و أطلقت العنان لكلماتي

" هل يمكنكم علي الأقل شرح ما يحدث لنا ؟ "

لتنظر لي العرافة و هي علي وشك الضحك بينما تقول

" يبدو أنك لم تخبري أصدقائك بعد .. هل تريدين مني إخبارهم بالقصة من بدايتها أم أدع ذلك الأمر لك ؟ "

لم تجبها سارا بينما رمقتها بنظرات الغضب لتكمل العرافة

" حسنا .. سأدع هذا لكي .. فسيكون أفضل حينما تصدر الكلمات من فمك أنت "

لتلفت سارا إلينا و الحزن قد أغرق عينيها و قد لاح الصراع داخلها أمام أعيننا وهي تحاول العثور علي الكلمات المناسبة لتقول

" لا زلت أستطيع تذكر ذلك اليوم .. بل أستطيع رؤيته .. جثث أعظم المحاربين تتساقط من حولي .. تتناثر الدماء في كل إتجاه و الهواء الذي نتنفسه أصبح ثقيلا بفعل ذرات الدم ..

جبال من الجثث في كل مكان .. وصرخات القتال تعلوا كرعد من السماء ... كان يوم رثاء في بلادي .. أسكتلندا ..

كنت أميرة هذه القلعة ... أميرة محاربة كما يقولون .. كنا ندافع عنها ضد جيوش البريطانيين و كنا قد قررنا ان الموت أهون عندنا من الإستسلام لهم .. فأنت لا تدري شيئا عما يفعلونه حينما يسيطرون علي قلعة ما ..

في البداية .. يغتصبون كل النساء ثم الأطفال .. أما الرجال فمصيرهم الحرق عقابا علي ثورتهم ضد الأسياد في بريطانيا ..

و أميرة القلعة .. أنا .. لها مصير خاص .. حيث سيتناوب النبلاء علي إغتصابها إلي أن تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت وطئة الألم و الصراخ ...

كنت أتخيل كل هذه المشاهد بينما أقاتل في ساحة المعركة .. كان سيفي يخترق أجساد الجنود بينما أصرخ بغضب لأنظر حولي و يصدمني المشهد ..

نحن نخسر الحرب .. محاربي يقتلون واحدا تلو الأخر بينما لم ندمر من جيش البريطانيين سوا كتيبة واحدة ... و جيشهم الحقيقي يراقبنا من فوق التلال ..

يستمتع بمحاصرتنا كالفئران بينما يضحك قادته علي نصرهم السهل ...

لم يكن أمامي خيار سوا التراجع للقلعة ...إلتفت إلي كالوم و الذي كان يقاتل بجواري لأصرخ به

" علينا التراجع الي داخل القلعة ... الآن "

" و لكنهم سيحاصروننا ! "

" إنها فرصتنا الأخيرة .. إن بقينا سنخسر كل شيء .. علينا التراجع للداخل"

ليصرخ في كل الجنود بالإنسحاب ... و بالفعل تراجعنا إلي القلعة و نحن ندرك أننا قد إكتسبنا بعض الوقت فقط و ليس الكثير فالبريطانييون سيمنحونا بعض الوقت للإستسلام و حينما لن يجدوا منا ردا سيبدأون بإقتحام القلعة ..

سرت بداخل ممرات القلعة إلي أن إجتمعت بفرساني الناجين .. أخبرتهم أننا سنخسر لا محالة و سيكون مصيرنا الأسوأ في تاريخ أسكتلندا حيث ستجعلنا بريطانيا عظة لكل من تسول له نفسه التمرد علي سلطتها ..

أخبرتهم ألا لا حل أخر لنجاتنا سوا بمغادرة هذا العالم ... نحن جميعا و كل من يسكن القلعة و كل رعاياي ... ولكنهم لم يفهموا و تعارضوا جميعا و كانوا علي وشك قتلي لكنه ظهر من بينهم ... نائبي و فارسي الأول ألكساندر و الذي وقف أمامهم جميعا معلنا طاعته المطلقة لي ... ليركعوا جميعا أمامي و يسلموا أمرهم لملكتهم ...

كنت توارثت من جدتي الكبري .... الساحرة العظيمة التي حاولت مجابهة أرثر في الماضي قدراتها علي ممارسة السحر و خصوصا قدرتها علي التواصل مع الشيطان العظيم ... بايمون ..

رآني الفرسان و أنا أنفذ الطقوس .. رآوني و أنا أضحي بأغلي شيء إمتلكته في هذه الدنيا .. حبي الوحيد .. و أنا أذبحه فوق النجمة المنقوشة علي الأرض لتملأ دمائه الفراغات و تجعلها تكتمل ..

ظهر أمامي .. بل أمامنا جميعا بهيئته البشرية و بجسده العاري و وجهه الوسيم و شعره الأسود الطويل ... عقدت معه الإتفاق .. سيمنحنا جميعا الأمان في عالمه .. سنحيا هناك للأبد و لكن علينا أن نكون معذبيه ... أن نعاقب أرواح المذنبين لأجله و للأبد .

وافقنا علي شروطه لينقلنا جميعا إلي هنا ... نعم هذه قلعتي ... و لكن بمرور القرون لم أعد أحتمل .. حطمني صراخ المعذبين المستمر ..دمرني العذاب الذي لا ينتهي .. لم أعد أدري هل أنا أعذبهم أم هم من يعذبني ...

لذا لجأت إليها ... العرافة .. جدتي الكبري التي سبقتني الي هنا باحثة عن حل يمكنني من الخروج و العودة للحياة مجددا و أخبرتني بالفعل عن طريقة ..

علي عقد عهد جديد مع بايمون ليسمح لي بالخروج و علي إحضار بديل لي ليصبح ملك هذه القلعة .. قلعة العذاب الأبدي الذي لا ينتهي ...

و لكني حينما عدت أخيرا .. و وجدت حياتي أمامي .. ربما بذكريات مزيفة يمتلكها من حولي عني و لكنها تظل حياة .. لم أستطع العودة و لم أملك الجرأة علي تنفيذ العهد ..

ظننت ربما .. ربما قد ينسي أمري و لكن نحن ها هنا .. أعادني مجددا "

كل هذه الكلمات .. كل هذا الحديث .. وقع علي قلبي كمطرقة تسقط علي سندان لتحطمه إلي فتات و تحيله غبارا تبعثره الريح كيفما تشاء ..

كنت منهارا علي وشك السقوط وقدماي فقدتا القوة علي حملي ... أمسكني كريم ليسندني علي كتفه بينما أنظر لتلك المرأة التي لا أعرفها وهي تمرقني بعيون ملئها الدمع ..

" لماذا لم تخبرينا منذ البداية ؟ .. لماذا لم تقولي شيئا ؟! "

لتبكي بينما تجيبني

" لم أكن متأكدة ... لم أكن أعرف أن كل هذا بسببي ... و إن أخبرتكم لا أضمن كيف ستتصرفون معي في وضعنا اليائس ... أنت لا تعلم شيئا عن البشر حينما يدركهم اليأس .. و حينما وجدنا الأحجية ظننت أنها ستكون طريقنا للخروج فعلا ... و لكن حين أصبحنا هنا .. في هذه القلعة .. تأكدت كل شكوكي "

هذه المرأة ليست من أحببتها .... بل هي لم تكن يوما من أحببتها .. لقد أحببت شبحا .. طيفا مزيفا يسير في أحلام يقظتي .. لم يكون حقيقيا يوما..

" أنا لا أعلم شيئا أعن البشر حينما يدركهم اليأس ؟!! ... هؤلاء أصدقائنا .. رفاقنا .. ليسوا مجرد ... بشر .. كما أسميتهم .. لقد ضحوا جميعا لأجلنا ... هؤلاء من عشتي حياتك الجديدة معهم ! ... أنتي حقا لستي من أعرفها ... أنتي مجرد قاتلة .. كاذبة ... تخليت عنهم لإجل إنقاذ نفسك "

صرخت بها بغضب بينما أرفع سلاحي لأوجهه لرأسها بينما ذلك المسخ يخرج سيفا من مكان ما ليضعه علي رقبتي فيوجه كريم مسدسه لرأسه ..

" ما الذي يمنعني من قتلك الآن ؟ .. فأنت سبب ما نحن فيه ؟ "

رمقتني بعينيها الصامتة و هي لا تستطيع إيقاف دموعها بينما الغضب و الحقد قد تملكني .. ذكريات أصدقائي وهم يقتلون أمامي مهند .. سمير .. مايا .. أحمد ... كريس ..تيد ..و القائد ..تتدافع في رأسي ... أصواتهم جميعا حولي تقول لي ...

"إنتقم لنا "

جميعهم ماتوا بسببها .. جميعهم قتلوا لأجلها فقط ... كنت علي وشك الضغط علي الزناد مطلقا غضبي كرصاصة تخترق رأسها..

" و ماذا لو أخبرتك أنه يمكنك إلغاء كل ما حدث ... و إستعادة أصدقائك ؟ "

كان هذا صوت العرافة التي بقيت تراقبنا من مكانها خلف الطاولة و لم تتغير الإبتسامة علي وجهها .. إلتفت إليها محافظا علي سلاحي بإتجاه رأس سارا لاسألها و الحنق بين كلماتي

" ماذا تقصدين ؟ "

لتجيبني ببرود واضح

" عزيزي .... منذ دخلتم جميعا هذا الجحيم و أنتم خارج حدود الزمان و المكان ... كل ما يحدث هنا في نطاق الإحتمالات بالنسبة للعالم في الخارج .. لذا يمكن إلغاء كل ما حدث "

" كيف ؟ "

صرخ بها كريم قبل ان تجيبه العرافه

" أرجع حفيدتي لعرشها ... أعدها لسيدها و رعاياها ليكونوا سعداء مجددا .. و حينها .. كل ما حدث هنا سيتم إلغاءه كأنه لم يحدث قط و ستفقدون ذكراكم عن كل شيء مررتم به .. و ستعودون لحياتكم السابقة بجوار رفاقكم ... الأحياء "

نظرت في عيني سارا لألحظ الندم و قد تملكها لم أدري هل بعد كل هذا ستضحي من أجلنا أم ستتخلي عنا جميعا .. تمنيت ان تكون سارا التي أحببتها حقيقية داخلها تمنيت أن تخرج الكلمات من فمها و تقول أمامنا أنها ستفعلها بكل سرورو لكن هذا يعني ... أنني سأفقدها ... في النهاية يجب علي التضحية كالجميع و هنا علي التضحية بحبي الأول ..

و لكن هل أنا مستعد للتضحية بها فعلا ؟ ... لقد فعلت المستحيل لتخرج من هذا الجحيم و العودة إليه بشكل أبدي هو مصير أسوأ من الموت بالنسبة لها .. فإن كنت مستعدا للتخلي عنها لأجل الجميع ... هل هي مستعدة لذلك ؟ ..

خرجت الكلمات من فمي لأسألها

" هل ستفعلينها ؟ "

لتخرج الكلمة من فمها و الدموع تسير بجوار شفتاها

" نعم "

لم أتاملك الدموع التي هربت من عيني بينما أنزل سلاحي و كريم يخفض مسدسه و كالوم يخفي سيفه لأوجه كلماتي للعرافة مجددا

" ما الذي علينا فعله ؟ "

لتجيبني بلهجة حنون

" أوه عزيزي ... إنه الحب أليس كذلك ؟ ... لا أستطيع تذكر أخر مرة تذوقت طعمه ... بل لا أستطيع تذكر هوية من جعلني أتذوقه ربما أنا من أجبرت نفسي علي النسيان ... نعم فهذه ضريبة الهدف الذي كنت أسعي إليه خلال سنين حياتي التي ذهبت ...

و لكن يمكنني الشعور بألمك .. قلبك يعتصر بداخلك ...تشعر كأن الكون كله قد تخلي عنك ليتركك وحيدا .. هل ستضحي بمن أحببتها أم ستترك أصدقائك لمصيرهم ...

أما هي فأنا أدرك أنها تتألم اكثر منك ... لقد ضحت من قبل و الآن عليها التضحية من جديد .. أنت لا تعلم شيئا عما مرت به خلال القرون السابقة لذا هي تدرك جيدا أن مشاعرها التي إنتهكت قلبها لم تغير من حقيقة أنها لا زالت وحيدة "

هذه العرافة بالفعل تمتلك القدرة علي سبر أغوار النفوس ... لم أستطع يوما وصف ما يجول بداخلي و الصراعات التي تحطم أضلعي و لكن ... هي إستطاعت قول كل شيء ..

ويمكنني رؤية أثر كلماتها في عيون سارا و التي ظلت صامتة و كأنها تتامل عودتها لمصيرها الأبدي من جديد .. لأجلي ... لأجلنا ربما في النهاية .. هي لا زالت سارا التي أحببتها ..

أكملت العرافة كلماتها بينما نقف أمامها في صمت

" سيرشدكم كالوم بين ممرات القلعة ... لا تقلقوا من شيء فلقد مل أكساندر من اللهو معكم بألعابه ... فقط عليكم تجاوز عقبة أخيرة .. الباب للعرش يحرسه فارس يائس .. سيكون عليكم مبارزته و قتله حتي تظفروا بالدخول إلي غرفة العرش ...

سترونه يجلس وحيدا .. يحتضن سيفه و ينتظر ... لقد إنتظر هذا الفارس طويلا ... و أظن أنكم ستكونون مخلصيه من بؤسه "

تحرك كالوم أمامنا إلي الممر الذي جئنا منه منتظرا منا أن نتبعه و لكن قبل أن نتحرك إلتفت كريم إلي العرافة ليسألها

" هل تسمحين لي بسؤال ؟ "

لتجيبه بصوت حنون

" تفضل يا عزيزي ؟ "

" من كلماتك أستطيع القول أنك أيضا لا تريدين البقاء هنا للأبد ... لماذا لم تحاولي الخروج كسارا ؟ "

لتبتسم قبل أن تطلق إجابتها

" أوه ... لقد خرجت بالفعل .. و هربت من الموت مرة ... لكن فارسا شجاعا أعادني إلي هنا ... وهو الآن ينتظركم "

" جدتي ! "

قالتها سارا قبل أن نغادر لتجيبها العرافة
" أعلم يا بنتي ... و أثق في إختيارك .. فقط عليك ألا تندمي علي شيء بعده"
لنخطوا إلي الممر بين الجدار المنشق و ينغلق الشق خلفنا تدريجيا إلي ان نخرج منه و نعود إلي ممرات القلعة الرئيسية المضاءة بالمشاعل ...
" إتبعوني "
قالها كالوم بينما يسبقنا بخطوات متصارعه و نحن نحاول اللحاق به و لكن ألم كتفي و الذي كنت قد نسيته تماما قد عاجلني مجددا يبدو أن الأحداث التي مرت سريعا جعلتني أنسي إصابتي و إدراكي للألم ..
لذا سرت بخطوات أبطأ بينما نتبعه في ممرات شبه مظلمة متفرعه نتحرك يمينا و يسارا وسط أضواء المشاعل القديمة .... لم يتكلم أحدنا للأخر .. في الحقيقة لم نعلم ما الذي علينا قوله فقط كان الصمت هو ملجأنا الوحيد الآن لما نحن مقدمين علي فعله ..
و مع سيرنا أكثر في الممرات كان هناك شعور أخر يتنامي بداخلي أننا مراقبون .. كنت أشعر بأعين خفية تقتنص جسدي من كل إتجاه .. و ما زاد الأمر سوءا هي تلك اللمحات التي تترائي لي في زوايا الممرات لكارمن و رفاقها من الموتي ..
و كأنهم يرافقونني في كل مكان .. يقولون لي نحن معك .. و لن نتركك إلي أن تحقق إنتقامنا ...
في النهاية توقفنا .. أمام ممر طويل ينتهي باب خشبي ضخم و يجلس أمام الباب شخص يرتدي درعا معدنيا جعلته أضواء المشاعل يبدو لامعا

لأعيينا .. يحتضن سيفه و يضم رأسه لصدره كان يبدو كما وصفته العرافة تماما ... فارس يائس ..

لكن مشهد الفارس لم يكن ما سرق أعيننا .. بل مشهد الجثث أمامه .. جثث ملقاة علي طول الممر إستطعنا التعرف عليهم .. لقد كانت فرقة جيري كلها هنا .. كلهم صرعي و كأنهم قاتلوا شيئا ما أرسلهم جميعا لحتفهم ....

" ما .. ما الذي حدث هنا ؟! "

قالها كريم و الذهول لم يغادر عينيه ليجيبه كالوم بصوته الثابت المخيف

" رفاقكم ... وصلوا إلي هنا قبلكم بحثا عن مخرج ... لذا كان عليهم مبارزة الفارس ... و لكنهم و للأسف لم يلتزموا بقاعدة الفارس الوحيدة .. أن عليهم مبارزته واحدا تلو الأخر ..

لذا و بمجرد أن خسر قائدهم أمامه و ذبحه الفارس أمامهم بدأوا بإطلاق سيل رصاصتهم عليه ... و هذا كان مصيرهم في النهاية ... الموت .. بدون شفقة ولا رحمة .. ميتة غير بطولية لا تدل سوا علي الخوف الذي تملكهم"

" هل هذا أنت يا كالوم ؟ "

كان هذا صوت الفارس والذي لم يتحرك من مكانه ليجيبه كالوم

" نعم ... أيها الفارس إنه أنا "

ليسأله الفارس

" و من الذي أحضرت معك ؟ "

" أميرتنا و رفاقها .. يودون الدخول إلي غرفة العرش "

فيتحدث بصرامة تخللت صوته

" حتي و إن كانت الأميرة ... فلن يدخل أحد إلا حينما أخسر أمامه في مبارزة ... تقدموا إلي .. إقتربوا أكثر حتي أستطيع رؤيتكم من بين الظلام ... مروا من فوق جثث رفاقكم و تذكروا أن هذا مصير الخائفين "

تقدمنا كالوم بينما نسير خلفه لنقترب من الفارس في نهاية الممر ... جثث رفاقنا حولنا تخبرنا عن المصير البشع الذي لقوه و لكن هذه ليست النهاية .. سننقذهم من هذا المصير ... لابد أن ننقذهم..

توقفنا نحن الأربعة أمام الفارس الذي رفع رأسه ليرانا .. فيظهر شعره الأشقر تحت ضوء النار و سيفه اللامع بين ذراعه و صدره ... نظر لنا بعيونه و التي حملت ألما قديما قبل أن يسأل

" و الآن ... من منكم سيبارزني ؟ "

تقدمت خطوة للأمام بلا تفكير و أنا أجمع الحروف في عقلي لأنطق بالكلمة " أنا "

و لكن من سبقني بقولها كان كريم الذي وضع يده علي و تأمل عيناي و هو يقول

" لن تسطيع فعل شيء بكتفك المصابة ... لذا من الأفضل أن أواجهه أنا ... بالإضافة .. إذا مت هنا لتسمع لنا بالمرور فسأحرمك من لحظة وداعها ... و أنا لن أسمح لك بالهروب من هذه اللحظة أبدا "

كلماته أرغمت الدموع علي الهرب من مقلتي .. بينما سارا ضمته إليها لتهمس له

" شكرا .. لك "

ليبتسم لها و لي قبل أن يلتفت للفارس الجالس أمامه مستندا علي الباب و يقول بحزم

" أنا من سأقاتلك "

ليجيبه الفارس بإبتسامة قبل أن يقول

" تضحي من أجل أصدقائك !... لا بد أنك تحمل روحا بطولية داخلك ... أنت تذكرني بنفسي في الماضي البعيد .. تذكرني بذكريات غادرت عقلي منذ زمن طويل .. لا أدري هل هذا بفعل هذا المكان .. الجحيم الذي أسكنه ... أم أنا من أهرب منها لظلمة مصيري في النهاية "

ثم إستند علي سيفه ليقف مستقيما أمام كريم

" تقدم إذا أيها البطل ... تقدم لتواجهني ... فربما تضع حدا لمعاناتي أخيرا و حينها .. سيشرفني معرفة إسمك "

ثم حمل سيفه ليأخذ وضع الإستعداد للقتال ... ليلقي كالوم بسيفه إلي كريم و الذي إستعد هو الأخر لبدأ المبارزة ..

الفصل الثانى عشر

مرت نصف دقيقة و الإثنان يتقاتلان بلا توقف ....كان من الواضح سيطرة الفارس علي المبارزة و لكن كريم يقاتل بشراسة لم أعهدها فيه من قبل .. ربما لأنه لا يقاتل لأجله فقط بل من أجلنا و لأجل رفاقنا جميعا ..

كان الفارس يكيل ضربات السيف القاسمه محاولا الوصول لرأس كريم و لكنه ينجح في صدها بسيفه مرتين ليتجنب الثالثة مانحا لنفسه ثغرة تمكنه من الوصول لوجه الفارس بطعنة قاتلة فينتهزها بسرعة و لكن الفارس يفطن لنية كريم فيرجع برأسه للخلف و يتجنب الطعنه بأعجوبة تاركة بصمتها كجرح غائر علي وجهه

تراجع الفارس للخلف قليلا كانت هذه مرته الأولي التي يتراجع فيها بينما يمسح بيده الدماء علي خده ليتأملها بين أصابعه و كريم يراقبه بإنتباه الصقر قبل أن يتحدث الفارس

" أنت جيد ... أفضل من رفيقك جيري ذاك "

ليبتسم كريم وهو يجيبه

" حسنا .. كنت أخذ بعض دروس المبارزة بالسيف .. فقد كانت تستهويني بالماضي "

ليقبض الفارس علي سيفه بقوة و يرفعه بينما يأخذ وضع الإستعداد مجددا ويقول

" من الرائع مواجهة خصم جدير بعد كل هذه القرون في ذبح المجرمين و القتلة و المغتصبين و بعض الشياطين الجريئة ... فلنجعل قتالنا

يستحق أن تقصه الشياطين علي بعضها البعض في أسفل درك في الجحيم
"

ليبادر بالهجوم مجددا بينما كريم يحاول تجنب ضرباته بصعوبة و عيوننا معلقة عليه و قد بدأ يلهث من الإرهاق الذي لحق بجسده و لكنه لا يمتلك وقتا للراحه فطعنات الفارس لا تتوقف عن إستهداف جسده ..
لذا قرر أن عليه المبادرة بالهجوم و الإستغناء عن دفاعه المستمر فأنتظر حركة الفارس القادمة و التي عاجلته بضربة جانبية ليصدها كريم بسيفه و مبادرا بالهجوم بضربات عالية متتالية مستهدفا رأس الفارس ...
ولكن الفارس يثبت أنه أسرع من كريم فيصد ضربتين و يتجنب الثالثة خالقا بذلك ثغرة لجنب كريم الأيمن موجها له ضربة سريعة قاطعة تطلق سيلا من الدماء تقتطر أرضا بينما يحاول كريم إدراك ما حدث فيضع يده علي جرحه محاولا بيأس إيقاف الدماء النازفة و قدماه تنهار أرضا ليستند علي سيفه محاولا ألا يسقط أمامنا ..
كنت علي وشك الإنضمام للقتال و لكن سارا أمسكت بي لتذكرني بقاعدة الفارس و التي تمنعنا من التدخل و إلا لاقينا جميعا مصير رفقانا الصرعي حولنا ..
رمق الفارس كريم الراكع أمامه و أنفاسه تلهث محاولة إلتقاط ما تستطيع من هواء علها تحصل علي قوة تمكن جسده من الوقوف مجددا و لكنه لا يستطيع .. خارت قواه و الدماء لا تتوقف .. و إن هزم الآن سيتحين علي أن أقاتل الفارس ..
إقترب الفارس من كريم بخطوات متثاقلة و بعيون مشفقة ليقول

" يبدو أن الأمل داخلي قد كذب علي مجددا .... و الآن علي أن أقتلك معلنا بقائي في هذا الجحيم ربما لألفية أخري من الزمن .. لأصدقك القول ... أحيانا أشعر كأن إلهي قد تخلي عني ... لذا أتمني ألا يتخلي عنك أيضا "

ليرفع سيفه عاليا في الهواء معلنا عن ضربته الأخيرة علي رأس كريم .. ليترك سيفه يسقط كمقصلة لن يوقفها شيء عن أخذ حياة صديقي ...

و لكن و في اللحظة الأخيرة و قبل أن تصل لرأسه يرفع كريم سيفه بكل ما تبقي له من قوة ليصد به الضربه بينما يتراجع بجسده للخلف و لكن الضربه تحطم سيفه إلي نصفين ...

فيمسك النصل المحطم بيده الأخري سامحا للدماء بالهروب من جسده و يدفع جسده بكل قوته بإتجاه الفارسه و يطعنه من بين ثنايا الدرع بإتجاه قلبه بالنصل المحطم ..

إتسعت أعيننا في ذهول و نحن نري جسد الفارس يسقط أرضا ليتبعه جسد كريم بينما نركض لأحمله بين ذراعي و الدموع تتساقط من عيني علي وجهه

" لقد فعلتها .... ولكن بأي ثمن "

لتخرج الكلمات من فمه بينما يحاول إلتقاط أنفاسه

" لا يهم ... ستنقذنا في النهاية .. هيا أتركني و أذهب .. أعبر من هذا الباب و حررنا جميعا من هذا المصير "

وضعت رأسه أرضا برفق لألتفت للباب خلفي و بجواري سارا و كالوم مستعدين لإقتحام أيا كان ما يقبع خلفه ..

و لكن قبل أن ندفع الباب إخترق أذاننا صوت الفارس المحتضر وهو يحدث كريم ..

" لقد هزمتني ... لذا كفارس حقيقي أشكرك علي هذه المبارزة ... و أطلب منك أن تعرفني بإسمك "

ليجيبه كريم بنفسه الأخير قبل أن تغمض عيناه

" كريم ... كريم فقط ... نعم هذا هو إسمي "

ليجيبه الفارس بكلماته الأخيرة

" كريم ... أيا كان مصيري أيها البطل ... سأتذكر إسمك إلي الأبد ... و لهذا كفارس .. علي أن أخبرك إسمي ... إسمي هو هنري .. هنري بندراجون .... إن كان مصيرنا في الحياة الأخري واحدا ... أتمني أن نتقابل "

ليصمت الفارس و يتحرر من القيد الذي عاش فيه لقرون ...

نظرت إلي سارا و عينانا تقول أن علينا إنهاء كل ما يحدث لإنقاذ رفاقنا ... دفع كالوم الباب ليتفرق مصراعيه و نخطوا بأقدامنا إلي محطتنا الأخيرة في هذا الكابوس ...

خلف الباب كانت تقبع غرفة ضخمه .. بل لا يمكن تسميتها بالغرفة لضخامتها و إتساعها .. جدران سوداء تضيئها المشاعل بضوء ناري أحمر... تحيط قاعة ضخمه ينتصفها طاولة للولائم تمتد لأمتار ... و في نهايتها يقع سلم حجري ضخم يؤدي لعرش عظيم علي قمته ...

سرنا داخل القاعة بحذر يقودنا كالوم و نحن نتامل ما حولنا .. عشرات السلاسل الحديدية العظيمة تمتد من السقف الذي لا تراه مهما حاولت مد بصرك للأعلي لتظهر كأنها سلاسل تنحدر من السماء مباشرة و تتعلق

بنهايتها ... عشرات الاجساد لأناس لا يزالون أحياءا ... يصرخون و يتوسلون للرحمة ...للمسوخ التي تضربها بالسياط..

و في جوانبها تقع عشرات أدوات التعذيب و التي تحيط بيها مخلوقات بشعة أتت من الكوابيس مباشرة لتسكن هذا المكان ...

كانوا يلتفتون لنا و يتأملوننا بينما نخطوا اكثر داخل القاعة .. يتركون أدواتهم و ضحاياهم التي تصرخ ليمرقونا بأعينهم السوداء أو المشقوقة أو الحمراء الغاضبة ليصدروا أصوات صراخ لا تدري هي أصوات غاضبة أم مستمتعة ...

تقدمنا أكثر لنتجاوز طاولة الولائم المغلفة بدماء قانية و عظام و لحم بشري يمتد بإمتدادها و يجلس عليها مسوخ أخري شاحبة تتعدد أحجامهم بين الصغير و الكبير و تستطيع تمييز الذكر منهم من الأنثي وهم ينهالون علي اللحم و يلتهمونه بلا توقف بينما يرمقوننا بنظرات الشفقة ..

" سامي ... أعرفك بشعبي .. و رعاياي "

قالتها سارا بينما عقلي يحاول إستيعاب كيف كانت هذه الوحوش و المخلوقات بشرا من قبل ... إنها شياطين من بشاعتها لا يمكنك تخيل إنها لم تخلق علي غير هذه الشاكلة ..

فهمت الآن لماذا سعيت سارا بكل ما تملك للهروب من هذا الجحيم فهذا العذاب لا يقدر بشري علي إحتماله بل لن يمضي الكثير من الوقت حتي ينهار و يصاب بالجنون و لكنها عاشته لقرون و الآن عليها العودة إليه ... لأجلنا ... و لأجلي ...

" مرحبا ... مرحبا بملكتنا العائدة "

قالها مسخ خرج من بين جموع الوحوش حولنا .. كان يمتلك جلدا أبيض كلون الثلج مع شعر أبيض ينساب إلي ظهره و وجهه بدت رسمته الندوب ليرمقنا بعينيه الحمراوين و هو يقف أمامنا ليقول

" كم إفتقدناك يا ملكتي ... عرشك ما زال شامخا ينتظر عودتك بعد كل هذا الزمن "

رمقته بيعينها اليائستين

" و أنا لم أفتقدك يا ألكساندر "

ليضحك بصوت مخيف و يقول

" عار عليك يا ملكتي ... أنتي لا تعلمين شيئا عما حدث هنا بعد رحيلك ... لا تفهمين كيف شعرنا بالغضب و المقت و الكره و الحقد إتجاهك ...

لا تدرين كم شعرنا بالغدر حينما تخليتي عنا لتتركينا ... ألقي نظرة علي رعاياك .. لقد كانوا يريدون قتلك بمجرد عودتك إلينا ... أوه نعم ... لا تشعري بالحيرة فقد كنا نعلم انك ستعودين عاجلا أم أجلا ..

و لكنك ها هنا الآن عدتي ... و نحن متسامحون معكي ... و لن نعاقبك علي هروبك ...لذا ... أهلا بعودتك يا ملكتي .. و لكن ..من هذا البشري معك ؟ ... هل قررتي ان تجلبي لشعبك طعاما طازجا من عالم الأحياء ؟ "

نظرت إليها لأري اليأس قد تحول لحزم في عينيها و هي تبتعد عني لتتقدم منه و تقول

" لا ... بل هذا .. ملككم الجديد "

إخترقت كلمتها الأخيرة عقلي محاولا فهم ما يحدث بيأس قبل ان تخرج مسدسها و توجهه إلي رأسي بينما يراقبها ألكساندر في حيرة و أنا أدرك ما يحدث أخيرا

" أنا أسفة "

لم تكن تنوي العودة أبدا .. لم ترد التضحية منذ البداية ...هربت سارا التي أعرفها من هذا الجحيم و لاتنوي العودة حتي و إن كانت حياتي و حياة رفاقنا بين كفتي الشيطان ..

نظرت إليها و الحزن يعتصر قلبي و اليأس هو كل ما أراه الآن

" كان علي رؤية ذلك... أنت لم تنوي العودة قط .. حتي بعدما ضحي كريم بحياته "

لتجيبني و الدموع تهرب من عينيها و ألكساندر يرمقها بعيني الشفقة

" أنا أسفة .. و لكني لن أعود "

لأقول و أنا أسقط سلاحي أرضا و أقترب منها فتلمس فوهة المسدس رأسي

" أعلم ...و لكن أخبريني .. هل ضحيتي بحبك الاول لأجل شعبك حقا أم لأجل نفسك ؟ "

بدأت بالإنهيار و التراجع للخلف محاولة الإبتعاد عني و هي لا تزال توجه مسدسها لرأسي

" لا ... لا .. لقد ضحيت به لأجلهم .. لإنقاذهم "

لأتقدم أكثر

" مما أراه هنا ... فأنتي منحتيهم مصيرا أسوأ من الموت .. أسوأ من الإغتصاب ... لقد جعلتيهم وحوشا .. شياطين تأكل لحوم البشر و لكني

أدرك أن هدفك كان يمثل إغراء لا يقاوم ... من قد لا يسعي للحياة الأبدية حتي و إن أصبح ..لا بل و إن تحول كل ما يحبهم إلا شياطين "

صرخت بيأس وهي تبكي

" لا تقترب أكثر ... أرجوك .. لا تقترب "

و لكني لم أبه لكلماتها

" هذه هي الحقيقة ... أليس كذلك ؟ "

لترمقني بعينيها تودعني

" أنا أسفة "

بينما تضع فوهة المسدس في فمها و تطلق النار لتسقط جثة هامدة خاوية من الحياة علي الأرض وسط صراخ الوحوش و المعذبين علي السواء ... وسط دماء الموتي ولحم المذنبين .. سقطت لتدفع ثمن ذنبها ..

نظرت إلي ألكساندر و وحوشه وهم يصرخون بكل قوتهم رثاء لملكتهم بينما تجول نظراتي بينهم لأراها .. تقف هناك و هي تبتسم ... كارمن و رفاقها الموتي كانوا يراقبونني ....و هنا رأيتهم أيضا .. الرهائن الذين قتلتهم بيدي يقفون معها و يبتسمون... كانوا معي منذ البداية ... و الآن تشير إلي برأسها برضا بينما أسيرا مقتربا من السلم الحجري الضخم ...

إلتفت ألكساندر إلي مدركا ما أفعله ... صمتت الوحوش و المسوخ عن صراخها و بكائها و أنا أقطع السلم درجة تلو أخري و العرش صوب عيني.. كلنا مذنبون ... كلنا نستحق العقاب كلنا إقترفنا أبشع الجرائم في حق أنفسنا و في حق من نحب ... و الآن علينا دفع الثمن و أنا سأكون أول من يدفع ثمن ذنوبه .. حينما أجلس علي هذا العرش لألبث في هذا المكان للأبد

هل هي تضحية ؟ .. لا .. بل عقاب أستحقه منذ البداية .. منذ تخليت عمن رأوني كصوتهم الوحيد ... و هذا هو طريق تحريرهم أيضا ..

يكتنفني الظلام بينما أصعد السلم الحجري ببطء .... أقترب من ذلك العرش العظيم شيئا فشيئا ، أتسائل عما قادني الي ما يحدث الآن حياتي؟ ... كانت مجرد إختيارات و ما أعانيه الآن هو نتيجة تلك الإختيارات ...

هل اندم علي شيء ؟ ... لا فأنا مؤمن ان كل خيار إتخذته علي تحمل تبعاته ربما أشعر بالحزن و الغضب ... ربما يحيطني الموت من كل إتجاه و أنا غارق في دماء من أحبهم ... و لكني لست نادما لإن ما أفعله الآن ... أفعله لأجلهم..

أُقف أمام العرش الصخري أتأمله و الدموع تحاول الهرب من مقلتي ... أتأمل تلك النقوش المحفورة من زمن غابر لتحكي عن مجد مفقود في غياهب القرون ... أجلس عليه و أنا أمسح دموعي التي إستطاعت الهرب... أنظر إليه بينما صعد ليقف بجواري ... كان منتشيا ينظر إلي بإبتسامته الخبيثة ..

أشاهد تلك الوحوش البشعة تقترب و الكوابيس تقفز حولي علي الجدران و الخوف يقف أمامي و الفزع يقودهم إلي و الموتي سائرون و أنا هدفهم الوحيد ...

ليهتف بهم بكل قوته

" للقلعة سيد جديد ... إركعوا أمام ملكنا "

ليقفوا أمام عرشي جميعا و يركعون ... ليحيوا سيدهم الجديد ...

الخاتمة

" إنهم بخير ... يعيشون حياتهم .. يلهون مع عائلاتهم ... أه لو يمكنك رؤيتهم يا عزيزي ربما قد ترسم إبتسامة علي وجهك الذي إبتلعه الظلام ...
قائدك ينام بأمان بجوار حفيدته بعدما إستراح بتقاعده و رفاقك عادوا لعائلاتهم و أصدقائهم و كريم ؟ ... كريم يجلس الآن مع عائلته و أطفاله في إحدي الحدائق "
قالتها لي العرافة بينما أجلس أمامها مترقبا و قد ساد التوتر جسدي لأسألها
" ألا يمكنني رؤيتهم ؟ "
لتجيبني بصوت حنون
" لا يا عزيزي ... للأسف أعين العرافة فقط هي من يمكنها إختراق العوالم "

لتندفع مشاعري القديمة في قلبي مجددا و أسألها
" و سارا ... كيف حالها ؟ "
ليتخلل الحزن صوتها الحنون
" علي عكسهم جميعا ... تتذكرك .. ربما تزوجت ... و أصبحت تمتلك أطفالا رائعين و تعيش حياتها التي حرمت منها بيديها ... و لكنها تتذكرك ... تراقب النجوم كل ليلة و تفكر كم أنك بعيد عنها في عالم يتجاوز السماوات "
ليهتز قلبي قليلا محاولا إطلاق الدمع و لكني أمسكه .. لأقوم من مجلسي و أشكر العرافة بينما أغادر غرفتها ...

أعبر الممرات المظلمة و أنا اتأمل الوحوش التي تسير حولي و تركع لي كلما رأتني مقتربا ...

تغيرت هيئتي كثيرا منذ ذلك الوقت .. شعب جلدي و نحل جسدي و إسودت عيناي تماما ...ربما ... هذا التغيير الذي يفرضه المكان علي من يسكنونه ..

وصلت إلي قاعة العرش ... متجاوزا صفوف المسوخ لأصعد السلم و أجلس علي عرشي ... كانت تقف علي يميني ترمقني بإبتسامتها الممزقة ..

نظرت إلي ألكساندر أسفل السلم وقلت بأمر

" أحضروه لي ... الآن "

ليندفع من الباب رجل عجوز أصلع ... كان عاريا تماما و مقتادا من رقبته بقيد حديدي ملتهب ... يمشي بخطوات متثاقلة متألمة .. أوقعوه أرضا أمامي علي ركبتيه و الحيرة تملأ عينيه بدا عليه عدم الفهم لذا إنتظرته ليتحدث و ليقول بصوته الخائف محاولا البحث عن حزم مختبيء

" أين ... أين أنا ؟ ... هل تعرفون من أنا ؟؟ .. فعلكم هذا سيسبب حربنا نووية أخري .. أن تختطفوا شخصا مثلي .. لقد كتبتم بأيديكم الهلاك لأوطانكم "

لأجيبه بصوت بارد كالثلج

" أعلم من أنت ... أنت ذلك الشخص الذي يقتل الملايين بضغطة زر ... من تحرق البشر بإشارة من إصبعك ... من تمزق الأطفال بكلمة من فمك ... من تجعل الرجال تبكي و النساء ثكالي بنشوة عابرة ... صدقني أنا أعلم من أنت ..

ظننت أنك ستحيا للأبد ... ظننت أن الطب و تكنولوجيا البشر ستضمن لك حياة لا تنتهي ... بدلت كل أعضائك بأخري صناعية حتي تهرب من الموت و لكن ... عطل عابر في قلبك أرسلك إلي هنا ...

يبدوا أن الإله قد قرر أن الآن وقت عقابك قد حان "

لم يدرك كلماتي بعد و الحيرة و الرعب جعلا أطرافه ترتعد بينما يراقب الأرض وهي تتشقق لتخرج خطاطيف معدنية صدئة تلتهب بفعل النيران القديمه لتخترق جسده و وجهه ليصرخ بألم و تسبح صرخاته في ممرات القلعة كأنشودة لا تنتهي ...

يحاول مقاومة الألم لينتطق بكلمات معدودة ..

" من ... من أنت ؟ "

لأبتسم بينما أجيبه ...

" أنا ... المُعذَب"

تمت

المحتويات

المقدمة 9

الفصل الأول 11

الفصل الثاني 17

الفصل الثالث 23

الفصل الرابع 31

الفصل الخامس 43

الفصل السادس 47

الفصل السابع 55

الفصل الثامن 69

الفصل التاسع 81

الفصل العاشر..... 87

الفصل الحادي عشر..... 95

الفصل الثانى عشر..... 113

الخاتمة 123

جميع الحقوق محفوظة لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر.